وجاء العبّاس عليه السلام

آية الله السّيد هادي المُدرّسي

الناشر

للتواصل:

الموقع الإلكتروني: www.alanwar14.org

البريد الإلكتروني: info@alanwar14.org

هاتف جوال: ٠٠٩٦٦٥٦٠٢٥٧٥٧٦

دار المؤمل للطباعة والنشر

بيروت – لبنان

شارع بئر حرة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مقدمة الناشر

بسـم الله الرحمن الرحيـم. الحمد للـه رب العالمين، والصلاة والسـلام علـى سـيدنا محمـد وعلى آلـه الطيبيـن الطاهريـن وصحبه المنتجبين.

أبو الفضـل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ، الأسـد الغضوب، صاحـب الكلمة الشـهيرة، التـي أطلقها في آخر لحظـات حياته، وبعـد أن تمكَّن العدُوُّ منـه، وقطع يديه وأصاب عينه بسـهام الغدر، فأعلـن بذلك عن أهدافه ومبادئـه، التي من أجلها خاض معركته المقدسـة في كربلاء، وضحى في سـبيلها بدمه، ليتـردد صداها على مرِّ التاريخ، طوفاناً بشـرياً يزلزل الطغاة، ويطيح بالظالمين، ويجعلهم أثراً بعد عين.

لقـد صرخ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أعدائـه قائلاً: «والله إن قطعتـم يميني إني أحامي أبداً عن ديني». قالها دون أن تسمع للألم صيحة، أو ترى للهلع صورة، أو تشـم للخوف رائحة، وهي رسـالة تفرَّدَ حفظها عن أبيه إمام المتقيـن عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي صدح بتفرُّدِه -هو أيضـاً- وفي محراب الصلاة

بصرخته المُدَوِّيَة: «فزتُ وربِّ الكعبة».

ولـم تكن صرخته تلـك تفَـرُّدَهُ الوحيد، فسـيرته التاريخية مليئة بالتفَـرُّدَات التـي تحولـت صفاتـاً وألقاباً وجدت السـبيل إلى اسـمه، وجُعلـت عنوانـاً لعظمته، فأصبح سـاقي العطاشـى، وبـاب الحوائج، وحامـل اللواء، والكفيل، وهي صفـات نبيلة تحلَّى بها حتى مع أعدائه رغم خِسَّـتِهم وغدرهـم، ولا يمكن أن يكونَ غيرَ ذلـك، وهو قد تربى فـي حجر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعاش طوراً من حياته يحذوه الخطوة بالخطوة.

عندمـا نتحدث عن أبي الفضـل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ فإننا نتحدث عن النبل والشـجاعة والإخلاص والوفـاء والإيثار والفضائـل، فقد تتلمذ علـى أبيه الإمـام علي ابن أبي طالـب وأمه فاطمة العامريـة (أم البنين) عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وتخـرّج مـن البيـت العلـوي فارتـدى بجـدارة ثوب الشـجاعة والإباء، وأصبح حصناً منيعاً للإسـلام ومبادئه، وسيفاً مشرعاً في وجه الظلم والجور، دفعاً عن دين الله والقيم السماوية.

وسَجَّل مواقفه الشُجاعة ضد أعداء الإسلام في الجمل وصفين والنهـروان، وقتـل فيهـم الناكثين والقاسـطين والمارقيـن وهو لايزال فـي مقتبـل العمر، ثـم أعلن ثورته فـي كربلاء، وختم سـيرته التاريخية المفعمة بالدلالات، بإراقة دمه الطاهر على مذبح العقيدة، قرباناً لدين الله ومبادئه وقيمه السـماوية، وتحت راية الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عنوان الإباء والكرامة والعزة.

ومؤسسة الأنوار الأربعة عشر عليهم السلام الثقافية تقدم للقراء الكرام هذا الكتاب (وجاء العباس) لسماحة آية الله السيد هادي المدرسي -يحفظه الله- الذي سلَّط الضوء على نتفٍ تاريخية من حياة هذه الشخصية الإسلامية العظيمة لتعريف المسلمين بالرموز الحقيقية للإسلام، ولرفع الطمس والزيف الذي أصاب سيرته الوضاءة، سائلين المولى العلي القدير أن ينفع به المؤمنين السائرين على نهجه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مؤسسة الأنوار
الأربعة عشر عليهم السلام الثقافية

٢٢/ ٣/ ١٤٣٣هـ

مقدمة المؤلف

كربلاء.. عاشـوراء.. الحسين عليه السلام .. العباس عليه السلام .. ليست هـذه مجرد كلمات لها معانٍ، وإنما هـي حقائق لها امتدادات،فكربلاء تمتـد فـي عاشوراء،وعاشـوراء تمتـد فـي كربلاء،وتختلـط الجغرافيا بالتاريخ،ويختلـط التاريخ بالجغرافيا، فـإذا بالأرض لها معنى الحدث وإذا بالحادثـة لهـا معنى المكان، فـلا تذكر كربلاء إلا وتتذكر سلسـلة من الأحداث والقضايا والمعارك،ولا تذكر عاشوراء إلا وتتذكر أماكن مختلفة من هذه الأرض.

وحينمـا تذكـر العباس عليه السلام فكأنـك تكمل صورة تلـك المُثُل والقيـم متمثلة مواقف الرجال ففي العبـاس عليه السلام يتمثل النبل والوفاء والشـجاعة والفضائـل والكمـالات كلها،تتذكر كيف تمثلـت الكرامة الإسلامية في حامل راية الحسين عليه السلام فإذا بالعباس عليه السلام يمثل تلك الرايـة المرفوعـة دائماً للحق ومن أجل الحق فـي مواجهة كل الرايات التي يرفعها إبليس في هذه الحياة.

لقـد تمثلت في كربلاء روح الوحـي، وتجلت الفضائل كلها في مواقف الحسـين عليه السلام ورجاله، كما تمثلت الرذائـل كلها في أعدائه، وكان للعباس عليه السلام قصب السبق بين رجال الحسين عليه السلام فهو حامل راية الحق، و رمز كرامته، ومن هنا فقد تحوّل إلى مدرسـة كاملة،يتعلم فيها الرجال الإيمان والإخلاص والجهاد والعطاء والتضحية والشهادة في سبيل الله، مدرسة لا يدخل فيها أحد إلا ليتخرج منها بطلاً شجاعاً، مؤمنـاً، صادقـاً، لقـد قُطعـت يداه في سـبيل اللـه ولكنهـا نُصبت على مفـارق الطرق تدل إلى منابـع الفضيلة، وينابيـع المناقب،ولقد رُميت عينه بسـهم لتبقى عينا ساهرة على امتداد التاريخ تحمي الإيمان من أن يختلط بالنفاق، وتحمي الحقيقة من أن تضيع في الزيف.

وكمـا كان العبـاس عليه السلام ليلـة عاشـوراء حارسـاً يحمي مخيم الحسـين عليه السلام من تطَفُّل المنافقين ومن هجوم أصحاب الباطل، فإنه لا يـزال يقـوم بذات الدور فـي حمايـة الفضائل والمناقب مـن اعتداء المتطفلين عليها، فقد أصبح بسـيفه وبرمحه وبمواقفه وبكل حركة من حركاته ميزاناً ومقياساً ومفصلاً يميز الزيف عن الحقيقة، والإيمان عن النفـاق، والصدق عن الكذب، فسـيف العباس عليه السلام هو أكثر سـيوف الحـق مضـاءً فـي التاريخ، ورايتـه أطـول رايـات الحقيقة امتـداداً في الأزمنة، ومواقفه أنبل ما صدر من أحد الأبطال من مواقف.

لقـد كان العبـاس عليه السلام قمراً يـدور حول شـمس الإيمان، فهو ذلك العبد الصالح الذي أطاع الله ورسـوله صلى الله عليه وآله وسلم في كل حياته وبهذا أصبـح قدوة للآخريـن في كل الفضائـل والمناقبيات حتـى أنه لم يعد

يُذكر في محفل من المحافل إلا ليذكِّر الإنسان بكل المثل العليا.

إنَّ هـذا الكتـاب هو محاولة متواضعة لشـرح جوانـب من حياة هذا البطل، أرجو من المولى عزَّ وجلَّ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يحشـرني مـع محمـد وآل محمـد ﷺ، وأن يعرّفنـي فـي الجنة وجه العباس وأن يرزقني صحبته مع الشـهداء الأبرار إنه قريب مجيب الدعاء.

السيد هادي المدرسي

٢٠ محرم الحرام ١٤١٥هـ

البدايات

بعد رحيل فاطمة الزهراء عليها السلام وهي في ريعان الشباب، تزوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -سلام الله عليه- حسب وصية فاطمة عليها السلام من أمامة، ولكن ألم فراق فاطمة عليها السلام كان لا يزال يعتصر قلبه إذ لم يكن مثيل لفاطمة عليها السلام بين النساء، فهي سيدة نساء العالمين.

وبعد مضي عشر سنوات على شهادتها، عاش أهل البيت عليهم السلام ظروفاً قاسية، ومرُّوا بظروف لم تكن في حسبان أحد، التفت الإمام علي عليه السلام إلى أخيه عقيل -وكان عالماً بالأنساب ويعرف تاريخ الرجال والقبائل، وله إلمامٌ بالخصائص الأخلاقية لهم- فقال له: «انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب».

فأشار له عقيل إلى فاطمة بنت حزام العامرية عليها السلام، وهي امرأة جليلة كانت تتحدر من عائلة كريمة عُرفت بالشجاعة والكرامة والالتزام بالفضائل والمناقبيات.

فأرسـل الإمام أخاه عقيلاً لكي يخطـب له هذه المرأة العظيمة، ووجـد عقيلٌ ترحيباً لهذا الأمر من العائلة، وهكذا تم زواج الإمام أمير المؤمنين بفاطمة العامرية عليها السلام.

ويقـال: إنهـا حينما دخلت بيـت علي عليه السلام، التفـت إلى أولاد فاطمـة الزهـراء عليها السلام، وقالـت لهـم: لاتناديني (تنادياني) فاطمـة، بل ناديني «خادمة».

كانـت لا تحبذ أن يتذكر هؤلاء آلام أمهـم، وما جرى عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقـد بقيـت في بيـت الإمام أميـر المؤمنين عليه السلام وهـي تُعامل أولاده مـن فاطمـة عليها السلام معاملـة أقل ما يقـال فيها إنهـا كانت قمة في النبل والكرامة.

وفي الحقيقة فإن الإمام علياً عليه السلام كان ينشد من هذه الزوجة أن يولد منها رجـالٌ تتمثل فيهم صفاته هو، وفي مقدمتها الإيمان وتحمل المسـؤولية في زمن تغيـرت فيه نفوس الناس، ولم تعـد على ما كانت عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكانـت ثمـرة هـذا الـزواج الميمون أربعـة مـن الأولاد، وهم: العباس، وعبدالله، وجعفر، وعثمان.

لقـد كانـت فاطمة بنـت حزام بن خالـد بن ربيعة بـن الوحيد بن كعب بن عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن، وكان لعائلتها ولاء خاص

لأهـل البيـت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ممحصة فيهـم المودة ولهـم عندها الجـاه الرفيع والمحل الكريم.

وظهـرت فضائل هـذه المرأة الكريمة فـي مواقفها حين زواجها من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعد استشـهاده، كما ظهرت فيمـا جرى على أولادها فيمـا بعد، ووفاء لسـيد الأوفيـاء العباس بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلقد عاشـت فاطمـة العامرية -كمـا يقول بعض المؤرخين- عشـرين عاماً بعد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم تقبل الزواج بأحد وفاءً منها لصاحب راية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ولـد العبـاس عَلَيْهِ السَّلَامُ فـي اليـوم الرابع من شـهر شـعبان عام ٢٦ للهجرة، وكان مولده بالنسـبة إلى أبيه مناسبة فرح وحزن في آن واحد، كمـا كان الأمـر مناسـبة حـزن وفـرح لرسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيـن ولادة الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فلقد وضع الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ طفله العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ في حجره، وشمَّر عن ساعديه الصغيرين، وقبَّلهما ثم بكى.

ولمـا رأت أمـه ذلك، أدهشـها الحـال لأنها لم تكـن تعهد صبياً بتلـك الشـمائل العلويـة، ينظر إليه أبـوه ويبكي من دون سـبب ظاهر، فسـألت عن الأمر فبيَّن لها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ما سـيجري على العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ في يديه، وكيف أنهما ستقطعان في سبيل الله في يوم من الأيام.

كان بكاؤه مما سيجري عليه، أما فرحه فكان لتلك المواقف التي سيقفها العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمقام الرفيع الذي سيكون له يوم القيامة.

لقـد امتد العباس في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكما كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ صاحب

راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان العباس عليه السلام صاحب راية الحسين عليه السلام ،وهما راية واحدة وإن اختلف الذي يحملها بين الوالد والولد.

وهكـذا فقد ولد العباس عليه السلام، وهو يحمل بالوراثة كل صفات الفروسية التي كانت في أبيه وأمه عليهما السلام.

كان يتمتـع بشـمائل الأبطـال جسـماً و روحـاً. أمَّـا مـن حيـث جسـمه، فقد سمي بقمر بني هاشم،كما سُـمِّي عبد مناف من قبل بقمر البطحاء،وسُـمِّي عبدا لله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقمـر الحرم لما كان يتمتع بـه هـؤلاء الرجال من وسـامة وجمال. وحسـب تعبيـر صاحب كتاب «مقاتل الطالبيين» فإن العباس عليه السلام كان وسيماً جميلاً يركب المُطَهَّم و رجلاه تخطان على الأرض.

وأمـا مـن حيـث الـروح، فلقـد كان مثـالاً للشـجاعة والبصيرة والمواسـاة والوفـاء والحـزم والإيثـار والثبـات والرضـا بأمـر اللـه والاستعداد للتضحية من أجل دينه.

ولـم يكن تسـمية أمير المؤمنين عليه السلام لـه بالعباس عليه السلام –الذي يعني الأسـد الغضوب– اعتباطاً، فقد كان الإمام عليه السلام يتوسـم في ابنه عليه السلام الهجوم على الباطل، ومواجهة أهله بما سيكون قدوة للآخرين.

إلا أن الإمـام علياً عليه السلام لـم يكتف بأن اختـار أم العباس عليها السلام مـن قبيلة ذات صفات كريمة من أرومـة عالية من المناقبيات، بل تعهد العباس عليه السلام بالتربية كما تعهد بها ولديه الحسن والحسين عليهما السلام.

وكان الإمـام علـي عليه السلام يعتبـر كلاً مـن السـبطين عليهما السلام ولدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينما كان يعتبر العباس عليه السلام ولده.

ومـن هنـا، فإنـه كان يولـي العباس عليه السلام مـن التربية بمقـدار ما يخـدم فـي مسـتقبل أيامه سـبطي رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم وولديه الحسـن والحسين عليهما السلام. تفتفت تلك الصفات المودعة في العباس عليه السلام بفعل الوراثة من والديه عليهما السلام، تفَتَّقَت عن اسـتعداد واسـع للنبل ولاكتساب الفضائـل، وكانت لوصايا الإمام علـي عليه السلام لأولاده جميعاً وللعباس عليه السلام بالخصوص التأثير الكبير في مستقبل مواقف العباس عليه السلام .

ولقـد قيـل إن أمير المؤمنيـن عليه السلام أخذ بيـد العباس عليه السلام في تلك الليلة التي فارق الدنيا في صبيحتها،وقال له: «ولدي ستنعم عيني عما قريب بك وبما ستفعل في يوم عاشوراء، ولدي إن دخلت الفرات فلا تشربنّ الماء قبل أخيك الحسين».

وكانت تلك بعض الدروس التي تلقاها العباس عليه السلام في أيامه الخالدات في حضن أمير المؤمنين عليه السلام وفي ظل تربيته.

ومـن عوامل الوراثة إلى التربية الحسـنة، إلى الوصاية الخالدة، مـن كل ذاك، ظهـرت في العباس عليه السلام صفات لا أعلى منها ولا أجلَّ، وفيما يلي بعض منها...

هكذا كان العباس عليه السلام

فتح العباس عليه السلام عينيه في عيني علي عليه السلام، و رافق السبطين الحسن والحسين عليهما السلام خلال فترة طفولته وشبابه.

بقي مع أمير المؤمنين أربعة عشر عاماً في أصعب مراحل حياة الإمام علي عليه السلام حيث عاد إليه حقه في الخلافة ليواجه الناكثين والقاسطين والمارقين،الذين شنوا عليه الحروب والغزوات.

وكان العباس عليه السلام يمر مع أمير المؤمنين عليه السلام بتلك الظروف الصعبة، ويرافق التطورات التي حدثت فيوماً شاهد معركة الجمل، ويوماً آخر معركة صفين، ويوماً ثالثاً معركة النهروان.

ولقد أبلى العباس عليه السلام بلاءً حسناً في معركة صفين التي طالت ثمانية عشر شهراً بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه من جهة، وبين معاوية بن أبي سفيان وجلاوزته من جهة أخرى.

وكما أن أباه خاض المعارك وهو لا يزال في مقتبل عمره، وكشف الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر وأحد

وخيبر وغيرها.

كذلك ظهرت من العباس عليه السلام وهو لا يزال في سني مراهقته شجاعة فائقة في يوم صفين، ومما يروى في هذا المجال أنه في بعض أيام صفين خرج من جيش أمير المؤمنين عليه السلام شابٌ يعلو وجهه نقاب تعلوه الهيبة وتظهر عليه الشجاعة وكان يقدر عمره بخمسة عشر عاماً وأخذ يطلب المبارزة من أصحاب معاوية فهابه الأعداء، فندب معاوية إليه واحداً من أشجع أهل الشام يسمى أبو الشعثاء، فقال: «يا معاوية إن أهل الشام يعدونني بألف فارس، فلا أخرج إليه، وإنما أرسل إليه أحد أولادي».

وكان عدد أولاده سبعة فأرسل ابنه الأول فبارز صاحب النقاب فقتله صاحب النقاب، ثم أرسل أبو الشعثاء ابنه الثاني فقتله أيضاً،فأرسل الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع، فقضى عليهم جميعاً،فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه، فبرز إلى صاحب النقاب وهو يظن أنه قادرُ على مواجهة ألف فارس مثله،وقال: «لأثكلنَّ عليك أمك» فشد عليه صاحب النقاب وألحقه بأولاده السبعة.

فهاب كل أصحاب معاوية ذلك الرجل، ولم يجرؤ على مبارزته أحدٌ فيما بعد و أدهش هذا الموقف ليس العدو فقط وإنما الصديق أيضا، وعرف أصحاب الإمام علي عليه السلام من هذه البسالة أنها لا تعدو الهاشميين، ولكنهم لم يعرفوا من هو ذلك البطل الباسل، فلمَّا رجع إلى مخيم الإمام أزال النقاب عن وجهه، فإذا هو قمر بني هاشم العباس عليه السلام.

ويُنقَل هنا أن الإمام عليا عليه السلام كان يتبادل مع العباس عليه السلام

أحيانا ما يلبسه ولده من أجل التَعْمِيَةِ على العدو، فقد نص الخوارزمي في كتابه المناقب أنه: «خرج من عسكر معاوية رجلٌ يقال له كريب،وكان شجاعاً قويًّا يأخذ الدرهم فيغمزه بإبهامه فتذهب كتابته، فنادى بين الصفين «ليخرج إلي علي»، فبرز إليه مرتفع بن وضاح الزبيدي فقتله كريب، ثم برز إليه شرح ابن أبي بكر فقتله كريب، ثم برز إليه الحرث بن الحلاج الشيباني فقتله كريب أيضاً، فساء ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعى ولده العباس عليه السلام وكان تاماً كاملاً من الرجال بالرغم من أنه لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، وأمره أن ينزل من فرسه وينزع ثيابه، فلبس علي عليه السلام ثياب ولده و ركب فرسه وألبس ابنه العباس عليه السلام ثيابه هو، وإنما فعل ذلك حتى لا يهرب كريب منه جبناً إذا عرف من هو الذي يبارزه، فلما برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام ذكَّره الآخرة وحذَّره بأس الله وسخطه، فقال كريب: «لقد قتلت بسيفي هذا كثيراً من أمثالك»، ثم هجم على الإمام عليه السلام، تلقَّى الإمام عليه السلام ضربته بالدرقة، ثم ضربه على رأسه بسيفه فشقه نصفين[1].

ومرت الأيام،،وَقتِل أمير المؤمنين عليه السلام بسيف عبد الرحمن بن ملجم، وجرى بعد ذلك ما جرى على الحسن بن علي عليه السلام، وكان العباس عليه السلام يقف مع الإمام خلال تلك السنوات العشر التي تولى الإمام الحسن عليه السلام مقام الإمامة فيها.

وشارك مع الإمام عليه السلام في دفع حِيَل معاوية، وكشف زيفه وخداعه.

(١) المناقب للخوارزمي، ص١٤٧.

وتحمّل مع الحسن والحسين عليهما السلام ما تحمله السبطان مثل سب معاوية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومصادرة حقوقهم، ومطاردة أصحابهم، وغير ذلك.

لقد مرت ظروفٌ صعبة على أهل البيت عليهم السلام وكان العباس عليه السلام تحمل قسطاً من تلك الصعاب، حتى إذا التحق الإمام الحسن عليه السلام بالرفيق الأعلى مسموماً مغدوراً به وامتلأت عيون الهاشميين بالدموع على رحيله، كان العباس عليه السلام ممن رثى أخاه عليه السلام وصبَّر بنيه على ما ألمَّ بهم.

وشارك العباس عليه السلام أخواه الحسين عليه السلام ومحمد بن الحنيفة في تغسيل الإمام الحسن عليه السلام وتكفينه وتشييعه، وكان ممن شاهد منع بني أمية دفن جثمان الإمام الحسن عليه السلام عند قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم، ولولا وصية الحسن عليه السلام بأن لا تراق محجمة دم في تشييعه ودفنه، لولا ذلك لما صبر أبو الضيم و الفضائل على ما جرى على الإمام الحسن عليه السلام بعد وفاته.

وبقي العباس عليه السلام في جوار أخيه الحسين عليه السلام مع بني هاشم إلى أن حلَّ عام ٦٠ من الهجرة، ومات معاوية بن أبي سفيان وتولَّى يزيد سدة الحكم من بعده، و أرسل هذا الأخير إلى واليه على المدينة- الوليد بن عتبة- رسالة يطالبه فيها بأخذ البيعة من الحسين بن علي عليه السلام قسراً، إن لم يبايع طوعاً، وأمره بأن يقتل الحسين عليه السلام إن امتنع عن ذلك،وحينما استُدعي الإمام إلى قصر الإمارة في المدينة المنورة، اصطحب معه جمعاً من بني هاشم بزعامة العباس عليه السلام، وأمرهم بأن

يحيطوا بدار الإمارة، حتى إذا سمعوا صوته، اقتحموا الدار، وأنقذوه.

وهكـذا فعل العباس عليه السلام وبنو هاشـم، حيـث أغلظ مروانُ بن الحَكَـم القول لأبي عبدالله عليه السلام وانبرى الإمام عليه السلام قائلاً: «إنا أهل بيـت النبـوة، بنا فتح اللـه وبنا يختم، ويزيد شـارب الخمـور، وراكب الفجور، وقاتل النفس المحترمة،ومثلي لا يبايع مثله».

و رفع عليه السلام صوته بهذا الكلام مما دفع بني هاشـم لاقتحام دار الإمارة، وإنقاذ الإمام الحسين عليه السلام في تلك الليلة.

كانت تلـك باختصار بعض الحوادث التي جـرت على العباس عليه السلام في سني حياته.

شمائل العباس عليه السلام

كان العباس عليه السلام طويلاً في جسمه، جميلاً في مُحَيَّاه،وسيماً في ملامحه. ولكن جماله لم يكن يقتصر على شمائله المادية وحدها، وإنما كان يتعدى ذلك إلى روحه المفعمة بالإيمان،المليئة بالفضائل، فقد كان يتميز بأخلاقه النبيلة،كما كان يتميز بشمائله الجميلة.

لقد كان باطنه مليئًا بنور الهداية،وكان جماله الظاهري واحداً من مظاهر جماله الباطني.

وكان تميزه بتلك الصفات قد حوَّله من مجرد رجل صالح إلى قدوة الصالحين، ومن مجرَّد صدِّيق إلى أسوة الصدِّيقين.

وفيما يلي، بعض صفاته تلك...

أولاً: البصيرة النافذة

يتحرك الإنسان في الحياة بحسب رؤيته فيها.

فإذا كانت بصيرته لا تتجاوز حدود ملذاته وشهواته المادية،فإنه

سـيتصرف تماماً كما يتصرف حمار الطاحونة، يـدور حول ذاته، يأكل للعمل، ويعمل ليأكل، حتى ينتهي أجله في هذه الحياة.

أما إذا كانت لديه بصيرة يفهم بها حقيقة الدنيا، ويتطلع منها إلى عالم الآخرة الأوسـع، فإنه سيتصرف حينئذ بشكل مختلف، لا بمعنى أنه سـيخرج عن كونه بشـراً لا يأكل ولا يشـرب ولا ينام، وإنما بمعنى أنه سـيتصرف تماماً كما كان يتصرف الأنبياء والرسل عليهم السلام فهُم كانوا يأكلـون كما يـأكل البشر،ويشـربون ويعملون كما يعمل سـائر الناس، إلا إنهـم كانوا يلتزمون بـكل ما يوحى إليهم ويتصرفـون كما يريد الله منهم أن يتصرفوا. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك قائلاً: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾[1].

وحقًّـا كان العباس عليه السلام على بصيرة من أمـره، وعلى يقين من الحق الذي هو عليه، ملتزما بكل ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقـد قـال الإمـام الصادق عليه السلام في حقـه: «كان عمُّنـا العباس عليه السلام نافذ البصيرة صُلْبَ الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً»[2].

ولا شـك أن الإنسـان حينما يكون نافذ البصيرة، فإن حركته في الحياة سـتدور في جزئياتها وكلياتها حول محور الحق، وسيتمتع بكل الصفات الحسـنة التي يتمتع بها الصالحون، لأن البصيرة تجر الإنسان

(١) سورة الكهف، آية ١١٠.
(٢) إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، ص٢٦.

إلى حضيرتها. كما أن فقدانها يصيب الروح بالعمى، فلا يعرف صاحبه ما الذي يعمل، بل ربما يرتكب الموبقات ويسقط في مستنقع الرذائل، ويتدحرج إلى كل رذيلة فيها، لأنه سيكون مثالاً لقوله تعالى ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾(١) فمن لا يعقل لا يرى، ومن لا يرى يقع في مزابل الطريق.

أما العباس عليه السلام، فقد كان نافذ البصيرة، كما كان من علماء أهل البيت عليهم السلام الأجلاء حتى رُوي أن العباس عليه السلام زُقَّ العلم زقا(٢).

ولقد روي أيضاً أنه كان من فقهاء أولاد الأئمة عليهم السلام، وكان عدلاً ثقة تقياً نقياً(٣).

وكما رُوِيَ أنه كان من أكابر وأفاضل فقهاء أهل البيت عليهم السلام، «بل أنه كان عالماً غير مُعلَّم»(٤).

ثانياً: الطاعة للّه و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

ليس سهلاً أن يكون الإنسان مطيعاً لأوامر الله في كل صغيرة وكبيرة من أموره، مجانباً ما نهى عنه الله،ملتزماً بمنهج رسوله صلى الله عليه وآله، ومطيعاً لإمام زمانه.

ذلك لأن طبيعة الإنسان قائمة على التمرد، وذلك نابع من ذات

(١) سورة البقرة، آية ١٧١.
(٢) أسرار الشهادة، ص٣٢٤.
(٣) تنقيح المقال، ج٢، ص١٢٨.
(٤) الكبريت الأحمر، ج٣، ص٤٥.

البشر، الظلمانية لو لا هداية الله فـ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١].

ولقـد قـال ربنـا ﴿إِنَّ الإِنسَـانَ لَفِي خُسْـرٍ﴾[٢] فلو تُرك الإنسـان وشأنه لاختار الموبقات وقدم شهوات الدنيا على ثواب الآخرة، وهذا مـا يفعله الأكثرية مـن الناس في كافـة العصور، ﴿وَمَا أَكْثَـرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْـتَ بِمُؤْمِنِيـنَ﴾[٣] ومـن هنا، فـإن الملتزمين بأوامـر الله ونواهيه المطيعين لله و لرسوله، هم الأبطال الحقيقيون في التاريخ.

وإذا أخذنـا بعين الاعتبار أن الإيمان درجات، فإن مقدار الطاعة في المؤمنين -هو الآخر- درجات.

فهنالـك من يلتزم بالحـدّ الأدنى من متطلبـات الطاعة، وهنالك مـن يتجاوز الحد الأدنـى لكي يصبح من السـابقين الأولين الذين قال الله تبارك وتعالى عنهم:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٤].

فبمقـدار ما يكون الإيمان عميقاً، تكـون طاعة الله لدى المؤمن كثيرة، خاصة حينما تتناقض مصلحة الإنسـان وسـلامته الشخصية مع متطلبات الإيمان والطاعة لله ولرسوله.

فلربمـا يتمتع البعض بالإيمـان القلبي لله تعالى، حيث لا يمكنه

(١) سورة إبراهيم، آية ٣٤.
(٢) سورة العصر، آية ٢.
(٣) سورة يوسف، آية ١٠٣.
(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠ – ١١.

إنكار وجوده عزّ وجلّ، ولكن في مجال الطاعة، يُشرك به، فيطيع المصالح والأهواء، أو الحكام والسلاطين.

ويحاول أن يجمع بين طاعة الله وطاعة العباد.

صحيح أن غالبية الناس ليسوا كفاراً ينكرون وجود الباري عزّ وجل غير أن الغالبية من اللذين لا ينكرون وجود الله يمتنعون عن طاعته إذا تناقضت الطاعة مع المصالح، أو كانت الطاعة تؤدي بهم إلى الهزيمة لا النصر.

إلا أن عباد الله المؤمنين يختلفون عن هؤلاء، ويمتازون بطاعتهم حين الخسارة والالتزام في الهزيمة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[١].

فمسألة التناقض بين المصلحة و الطاعة،هي فتنة بني آدم، وامتحان الباري لهم في هذه الحياة. ثم أن الإيمان عند الكثيرين من الناس، إيمان وقتي،يلتزمون به إذا تماشى مع مصالحهم،و إذا تناقض تركوه، وبرّروا ذلك،بألفِ تبرير و تبرير.

يقول الإمام الحسين عليه السلام : «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت معائشهم، فإذا مُحِّصُوا بالبلاء قَلَّ الديَّانون».

(١) العنكبوت، الآيتان: ٢-٣.

ويظهر مدى إيمان الفرد من خلال طاعته لمن تجب عليه إطاعته.

مِن هنا تأتي قيمة الطاعة لله ولرسوله كميزان للإيمان الصادق.

ولقد كان العباس بن علي عليه السلام في القمة من هذه الناحية.

ولذلك يقف الإمام الصادق عليه السلام أمام ضريحه ليقول: «اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصّالِحُ الْمُطيعُ للهِ وَلِرَسُولِهِ».

فتلك من أولى الصفات التي اتصف بها هذا العبد الصالح في حياته.

فقد آثر أن يموت دون طاعته لله ولرسوله، وأن يقدّم نفسه الزكية قرباناً لإمام زمانه. فكان إيمانه حقّاً إيمان المخلصين الصادقين..

يقول الحديث الشريف: «نظر علي بن الحسين عليه السلام سيد العابدين إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء والعباس عليه السلام معه، فاستعبر الإمام السجاد عليه السلام، ثم قال: ما مِن يوم أشدّ على رسول الله من يوم أُحُد، قُتِل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤْتة، قُتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب»،ثم قال الإمام عليه السلام: «ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، اِزدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة، وكلٌّ يتقرب إلى الله عزّ وجلّ بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتّعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً» ثم قال عليه السلام:

«رحم الله عمي العباس، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قُطعت يداه، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة

في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»[١].

لقد كانت من مميّزات العباس عليه السلام أنه كان دائماً في خدمة إمامه سواء أكان الإمام أباه أمير المؤمنين أو الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وكان ملجأ لأخيه الحسين عليه السلام في النوائب والمشاكل، وبالحقيقة، فإن موقف العباس عليه السلام من الإمام الحسين عليه السلام، كان كموقف الإمام علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكما كان أمير المؤمنين عليه السلام يتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتباع الفصيل إثر أمه -حسب تعبيره عليه السلام- مطيعاً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في كل صغيرة وكبيرة، كذلك كان العباس عليه السلام يتبع الحسين عليه السلام اتباع الفصيل إثر أمّه ويطيعه في كل صغيرة وكبيرة.

وكما كان الإمام علي عليه السلام باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حوائجه، كذلك العباس عليه السلام كان باباً للإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

ثالثاً: التضحية

قد يقال عن الشخص بأنه ضحّى بنفسه إذا قُتِل في معركة، حتى وإن لم يكن واثقاً حين مشاركته فيها من أنه سيُقتَل.

ولكن مثل هذه التضحية في أسفل سلم التضحيات، فالموت مقدر على الإنسان.

(١) سفينة البحار، مادة (عبس) العباس بن علي.

من لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

فقد يموت الفرد في حادث اصطدام، أو بسبب السقوط من ارتفاع شاهق، أو بسبب مرض أو بأي سبب آخر، وقد يموت في معركة، لكن غالب الذين يشاركون في المعارك يتوخون الانتصار ويتوقعون الموت في ذات الوقت.

بينما التضحية الحقيقية تكمن في أن يُقْدِم الإنسان على موقف يعلم بالقطع واليقين أنه مقتول بسببه. فهذا في أعلى سُلّم التضحيات وهذا هو الجهاد الحقيقي.

إن الدخول في المعارك لا يعني بالضرورة الموت فيها، صحيح أن بعض المواجهات تكون نسبة الموت فيها أكثر من غيرها، ومَن يدخل فيها يُعتَبر مغامرًا بحياته، ولكن نسبة المغامرة هذه تختلف بحسب المواقف الصعبة.

فإن تدْخل في معركة وأنت ترجو النجاة دون أن يصيبك أي أذى، تختلف عما لو دخلتَ في معركة وأنت واثق من أنك لن تخرج منها سالماً على كل حال، هنا تكون التضحية حقيقية،ويكون الجهاد حقيقياً وفي أعلى السُلَّم.

لقد كان العباسُ عليه السلام مثل أبيه عليه السلام، من الذين يغامرون بحياتهم في سبيل الله.

وكما أن الإمام علياً سلام الله عليه بات ليلة الهجرة في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحوله سيوف متعطشة لدمه، ودخل معارك كثيرة

في الحروب التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله، كذلك العباس عليه السلام ،مع فارق أن الإمام علياً عليه السلام لم يُقتل في تلك المعارك،ولكن العباس عليه السلام قُتِل في كربلاء، وكان يعرف سلفاً أنه مقتول في تلك المعركة.

وإذا كان بعض الذين قُتِلوا في يوم عاشوراء،حدث لهم ذلك في بدايات المواجهة، إلا أن العباس والحسين عليهما السلام كانا آخر من قُتِل في تلك المعركة، ولذلك كانا واثقَين أكثر من غيرهما بأنهما سيُقتَلان إذ لم يبقَ معهما أحد يستطيع الدفاع عنهما في مواجهة ثلاثين ألفاً من الأعداء المتعطشين إلى دمائهما الزاكيات فقد كتب الإمام الحسين عليه السلام قبلُ رسالته الشهيرة إلى بني هاشم لمَّا حلَّ بأرض كربلاء، والتي قال فيها:

«مَن لحِق بنا منكم استُشهِد، ومَن تخَلَّفَ لم يَبلُغ الفتح»[1].

ورب قائل هنا يقول: أليس هذا نوعاً من أنواع الانتحار؟

والجواب: هنالك فرق كبير بين الإقدام على الانتحار، هروباً من الحياة و مشاكلها، وبين الإقدام على عمل مقدَّس، يكون فيه الموت في نهاية المطاف.

إن الانتحار عمل جبان، ينهي به صاحبه حياتَه هروباً من مشاكلة أو رغبة في إيذاء أشخاص آخرين من أقربائه، أو يأساً من الحياة، أو أيّ شيء من هذا القبيل.

غير أن الجهاد في سبيل الله مع علم المجاهدين بأنه يؤدي بهم

(١) كامل الزيارات، ص٥٨.

إلـى المـوت هو قمة المـروءة و قمـة التضحية و قمة العطـاء «فالجود بالنفس أسمى غاية الجود».

ثـم إنـك لا تقتل نفسـك في المواجهة مـع العدوّ،بـل العدوّ هو الذي يقتلك، وهو الذي يميّز المجاهد الشهيد على المنتحرين.

يقول رسـول الله ﷺ: «سـيّد الشـهداء حمزة»، ومن قام إلى إمام ظالم فنصحه فقتله. وبالتأكيد يكون سـيداً للشـهداء كلَّ من ينصح ظالماً وهو يعلم أنّ نصيحته ستؤدي به إلى الموت على يده الآثمة.

غيـر أنـه يتقبّل هـذه النتيجة من أجل أن يتحـدى الظالم، ويفتح الطريق أمام الآخرين لكي يرفضوا الظلم، ويواجهوا الظلمة.

أليـس كلُّ الذيـن استشـهدوا في مواجهـة الباطل كانـو على مرّ التاريخ من الذين يتحملون القتل بالنسبة إلى أنفسهم.

وهكـذا فـإن المـوت في سـبيل الحق، مـع العلم المسـبّق ليس انتحـاراً بأيّ شـكل من الأشـكال فهو دفـاعٌ عن حق مظلـوم، فإذا كان الحق يُقتَل في المجَتمع، فمِن الأفضل أن يُقتل المؤمن معه أيضاً.

فمن يستسـلم للموت، يكون ضعيفاً في نفسه، أما الذي يتحدى الظلـم، فهو قـوي في قلبـه، ولذلك لا نجـد أحداً من هؤلاء استسـلم للعدوّ أو أعان على نفسـه،بل كان يدفع الموت عن نفسـه بما يستطيع، فإذا غلب عليه العدوّ تقبل ما يترتب عليه برحابة صدر.

وتلك هي الشجاعة الحقة.

وهـذا اليقين بالمـوت هو الذي جعل مـن العباس عليه السلام واحداً من أعظم رجال التاريخ.

لقد كان أصحاب الإمام الحسـين عليه السلام يعلمون علم اليقين أنه لا يمكن أن تنتصر مجموعتهم الصغيرة على ثلاثين ألف مُقاتل.

كانت الحياة عندهم مقدسـةً فيدافعون عنهـا ضدّ أعداء الحق و أعداء الحياة.

ومـن هنا فإن إرادة الحيـاة كانت قويّة عندهم وبها كانو يقاومون فيقتِلون ويُقتلون.

ولكن لا أحد منهم كان مسـتعداً أن يشـتري بقاءه في هذه الدنيا بثمـن الخضـوع للظلـم والطغيـان، فحينما يكـون الحق صريعـاً، فإن المطلـوب هـو أن يدافع عنه المؤمـن وأن يضحي من أجلـه حتى آخر قطرة من دمه، حتى يُنقِذه أو يُصرَع معه.

ولقد كان العباس عليه السلام حامل راية هؤلاء المؤمنين في يوم عاشوراء.

رابعاً: الشجاعة

كما أن الموت موتان:

مـوتٌ يأتي إليك فترضى به، لأنك اخترت موقعاً كان فيه الخطر على حياتك.

ومـوت آخر تذهب إليه، وتقتحم عليه معاقله، راضياً بما قسـمه

الله لك، فتكون أنت من اختار الموت وليس الموت هو الذي اختارك، فإن الشجاعة أيضاً شجاعتان:

شجاعة أن تقبل بما يقع عليك،من حوادث مؤسفة، ومن أخطار جسيمة.

وشـجاعة أخرى أن تختار موتك ضرباً بالسـيف،وطعناً بالرماح وتَقطُّع أعضائِك واحدة بعد أخرى، وأنت تنظر إلى ذلك راضياً مختارًا.

فأنت الذي اخترت هذا النوع من الموت.

وربما اجتمعت الشجاعتان في الشخص كما حدث ذلك للإمام علـي عَلَيْهِ السَّلَامُ الـذي كان يقول: «واللـه لا أبالي أوقعت علـى الموت أم وقع الموت علَيَّ».

واجتمعـت أيضاً في رجـال الإمام الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ فعليٌّ الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ حينمـا أخبـره والـده بأنه سـمع هاتفاً يقـول: «القوم يسـيرون و المنايـا تسـير بهم فعرفت أنها أنفسـنا قـد نعيت إلينا» قـال علي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ألسْنا على الحق؟».

فقال له الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أي، والذي إليه مرجع العباد».

فقـال علي الأكبـر عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إذن لا نبالي أوقعنـا على الموت أم وقع الموت علينا».

واجتمعت الشجاعتان أيضاً في العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يكن يبالي بعدد العدو ولا بقوة عدته، إذ لم يكن يبالي بالكثرة أو القلة في مواجهة أعدائه.

إن الجبناء قد يتمسكون ببعض التبريرات ويتظاهرون بأنهم حكماء فيضربون الأسداس بالأخماس، ويبررون تقاعسهم بألف علة و علة، ولا شك بأن كثرة العدو و قلة العدّة تأتي في مقدمة أعذار الجبناء لترك المواجهة.

وفي الحق فإن حساب الكثرة و القلة وامتلاك العدة و عدم امتلاكها وما شبه ذلك لها تأثيرها المباشر في نتائج المواجهات، إلا أن أصحاب البصائر لهم حساباتهم الخاصة، فهم يهتمون بالمسؤولية و بالواجب و إطاعة الله ومن ثم فلا يبالون بالكثرة و القلة، كما لا يبالون بنتائج المواجهة سواء أكانت هزيمة أو انتصاراً.

فحينما يقف الحق وحيداً في مواجهة جيش من الباطل فإن أصحاب البصيرة يبحثون عن الشهادة من أجل الحق وليس عن الانتصار به. ومن هنا ترى أن العباس عليه السلام مثلاً يذهب وحده إلى المشرعة وهو لا يمتلك إلا يدين اثنتين يحمل بأحدهما القربة وبالثانية السيف، بينما كان يحوم حول الشريعة أربعة آلاف من فرسان العدو ورجاله، وهم مكلفون بحراستها لمنع وصول رجال الحسين عليه السلام إليها.

ففي تحمل هذه المهمة لم يقل العباس عليه السلام إنَّ الواحد لا يمكن أن يواجه أربعة آلاف، أو أن سيفاً واحداً لا يمكن أن يكسر أربعة آلاف سيف.

ولم يقل إن القربة لا تستطيع أن تحمي نفسها من السهام، ولا أن

مثـل هذا العمل لو نجـح في بدايته فلا يمكنه أن ينفلت من قبضة أربعة آلاف مـن المسـلحين الذيـن امتلؤوا حقـداً عليه وعلى أخيه الحسـين عليه السلام.

لـم يقـل كل ذلك وإنما قفـز إلى القربة وحملهـا وامتطى صهوة جواده وانطلق متوكلاً على الله تعالى لأن الشـجاعة عنده كانت تتمثل في أن يتحمل المسـؤولية ويقتحم علـى الموت معاقله، مع قطع النظر عن حسابات العدد والعدّة أو الهزيمة والانتصار.

ولهذه الشـجاعة الفائقة صار العباس عليه السلام حامل لواء الحسين عليه السلام، وحامـل اللواء في المعارك كان في ذلك الزمن أشـجع الرجال وأقواهم، لأن اللواء كان الرمز الذي يقاتل حوله المقاتلون، فإذا سـقط من يد حامله فمعناه الهزيمة لجبهته، وكان الإمام الحسين عليه السلام يدرك سـلفاً أن العبـاس عليه السلام هـو ذلك الرجل الـذي لو قطعت يـده اليمنى في المعركة،فسـوف يمسـك اللواء باليسـرى وإذا قطعت هي الأخرى فسوف يمسك اللواء بزنديه، وإذا قطعتا فسوف يمسكه بأسنانه.

لقـد قـال أحد أصحـاب عمر بن سـعد عندما قيل لـه: «ويلكم، أقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!».

قـال: عظظت بالجنـدل، إنك لو شـهدت ما شـهدنا، لفعلت ما فعلنا».

ثـم أضاف: «ثـارت علينـا عصابة أيديهـا في مقابض سـيوفها، كالأسـود الضارية تحطم الفرسـان يمينا وشـمالاً، وتلقي بنفسها على

الموت ولا تقبل الأمان، ولا ترغب في مال ولا يحول حائلٌ بينها وبين حياض المنية أو النصر، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين لا أمَّ لك؟!»[١].

وجملة«ولا تقبل الأمان» في كلام جنود عمر بن سعد إشارة إلى الأمان الذي أُعطِيَ للعباس و إخوته عليهم السلام يوم التاسع من محرم الحرام، و رفضوه بأجمعهم.

لقد كان العباس عليه السلام عين الشجاعة، وقد ورثها من أبيه كما ورثها من أمه، ومن هنا كان يمثل الشجاعة في أجلى صورها، فهو العمود الذي كان يحمي خيمة الحسين عليه السلام .

وكان أصحاب الإمام الحسين يرون العباس عليه السلام فيرون الثبات في ضميره، والشجاعة في روحه، ورباطة الجأش في ملامحه، فكانوا يتمثلون به ويمتلؤون ثباتاً وشجاعة عندما يرونه.

حقاً، لقد أصبح للشجاعة اسمٌ آخر هو «العباس».

خامساً: الإيثار

لا يتمثل الإيثار في الحقيقة في أن تعطي بعض المال و أنت تحتاج إليه في بعض مجالات حياتك، وإنما يتمثل في أن تعطي لغيرك ذلك الشيء الذي تتعلق به حياتك.

فقمة الإيثار أن تكون على شفا الموت عطشانَ و تحمل الماء

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١، ص٣٠٧.

على كتفك ثم تقتل وأنت عطشان.

إن الإيثار الحقيقي أن تسخو بنفسك إنقاداً لحياة غيرك،ودفاعاً عنه.

صحيحٌ أن إيثار المال أيضاً نوعٌ من الإيثار فيما لو كنت بحاجة إليه، كما يقول ربنا جلّ وعلى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[1]. ولكن أين إيثار المال من إيثار النفس؟

وأين إيثار العطاءات المادية من إيثار الموت على الحياة في سبيل قيمٍ عليا؟

إن الإيثار هو سنام الأخلاق وقد قال الإمام علي عليه السلام : «من آثر على نفسه، بالغ في المروءة، واستحق اسم الفضيلة»،ولقد تجلى في أعظم صوره في العباس عليه السلام .

فقد آثر أن يموت دون أخيه، كما آثر أن يُقتَل ويُقطَّع دون مبادئه، و كان في ذلك مثالاً يضرب للأجيال..فإذا كان أصحاب فرعون الذين آمنوا بموسى بن عمران عليه السلام وهدَّدهم فرعون قائلاً: ﴿ **ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى**﴾[2].

إذا كان هؤلاء قالوا ﴿ **لَنْ نُؤْثرك عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَات**

---

(١) سورة الحشر، آية ٩.
(٢) سورة طه، آية ٧١.

وَالَّـذي فَطَرَنَا فَاقْـض مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضي هَـذه الْحَيَوة الدُّنْيَا﴾[١].

فإن العباس عليه السلام آثر الإيمان مع الموت،على الأمن مع الشرك، وقدَّم السُـلَّة مع الحق على الذلة مع الباطل، في موقف قَلَّ نظيره في التاريخ كله.

فلـم يكن قد واجه مجرد التهديـد، وإنما قُطِّعَت أعضاؤه بالفعل من دون أن يتراجع قيد أُنْمُلَةٍ عن موقفه الصامد وآثر على نفسه الموت من أجل حياة الآخرين.

سادساً: المواساة

لدى الشـدائد تظهر حقائق الرجال، فكم مـن الذين تركو أقرب الناس إليهم فريسة المحن و البلايا هاربين بأنفسهم في ساعة العسرة؟ وكم من أزمات و حوادث كشـفت أن ادعاءاتهم كانت مجرد شعاراتٍ في سعات الأمان و السلامة..

إن النـاس حينمـا يمحصـون بالبـلاء يتميـز الصـادق منهـم عن الكذاب، و المواسي عن غيره، فلو افترضنا أن حريقاً وقع في دار، وأن النيران حاصرت العائلة كلها،حينها تجد أن أفراد تلك العائلة ينقسمون إلى قسـمين قسمٌ يحاول إنقاد نفسـه، ولا يهتم بالآخرين، وقسم يفكر في إنقاد غيره ولو احترق بالنار. وقليل هم.

لقـد كان العبـاس عليه السلام قمـة في هـذه الصفة، كمـا كان قمة في

(١) سورة طه، آية ٧٢.

الشـجاعة والإيثار والتضحية، وقلَّ أن تجد مثله في مواسـاته حتى عند أصحاب الأنبياء والرسل عليهم السلام.

إن المؤرخين يذكرون أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم - باسـتثناء والد العباس الإمـام علي عليه السلام وقلة معه -حينما اشـتدت بهم المعارك في مثل أحد و حنين تركوا النبي عرضة لسيوف الأعداء، وهربوا من سوح القتال، بالرغم من ملاحقة نداءات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم قائلاً:

أنـــا الــنــبــي لا كَــــذِب   أنـــا ابـــن عـبـد المـطـلـب

إلـى أيـن تفـرون؟ «أنـا محمد،أنا رسـول الله». ومـع ذلك فقد خذلـوه وفـروا وبعضهـم ذهب بها عريضـة ووصل إلى خـارج حدود الجزيـرة العربيـة، حتى نزلـت الآية الشـريفة بحقهم ﴿ **وَمَـا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُـولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِين**﴾[١].

غير أن العبـاس عليه السلام في كربلاء فعل مثل ما فعل أبوه عليه السلام في تلك المعارك، فقد وقف وحيداً يدافع عن أخيه.

يقـول الإمام المهدي عليه السلام : «السـلام على أبي الفضل العباس المواسـي أخاه بنفسـه، الآخذ لغده من أمسـه، الواقي له، المساعد إليه بمائه، المقطوعة يداه...لعن الله قاتليه».

ويقول الإمـام الصادق عليه السلام في الزيارة التي تلاها عند ضريحه:

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٤٤.

«أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك، فنِعْمَ الأخ المواسي لأخيه».

إن اسم العباس عليه السلام ارتبط بالمواساة، كما ارتبط بالشجاعة والإيثار والطاعة وبقية الفضائل،ويبدو أن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كانوا يتنافسون جمعياً في صفة الإيثار، ولكن العباس عليه السلام كان له قصب السبق في تلك المنافسة.

يقول صاحب كتاب (الكامل في التاريخ): «فلما رأوا أنهم لا يقدرون أن يمنعوا من الحسين عليه السلام القتل، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه».

وظهرت المواساة من العباس عليه السلام في رفضه شرب الماء قبل الحسين عليه السلام بعد أن اقتحم بفرسه الفرات وكشف عنه الرجال الذين كانوا يحمونه، فدخل الماء واغترف غرفة بيده، ثم تذكر عطش الحسين عليه السلام فرمى الماء،وقال قولته الشهيرة:

يا نفس من بعد الحسين هوني   وبعده لا كنتِ أن تكوني
هذا حسين وارد المنون   وتشربين بارد المعين
والله ما هذا فعال ديني   ولا فعال صادق اليقين[1]

سابعاً: البحث عن ثواب اللّه عزّ وجلّ

على فراش الموت أوصى الإمام علي عليه السلام أولاده الحسن والحسين والعباس عليه السلام وغيرهم بقوله: «أوصيكما وجميع ولدي، ومن بلغه كتابي هذا، بتقوى الله، وأن لا تبغِيا الدنيا وإن بغتكما، ولا

(١) مقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرم، ص٣٣٦.

تأسـفاً على شـيء منها زُوُيَ عنكما، قـولا بالحق،واعملا للأجر، كونا للظالـم خصما، وللمظلوم عوناً»(١).

وقد أصبحت هذه الوصية منهج أولاده في الحياة، فكانت تقوى اللـه عز وجل مد بصرهم في كل أعمالهم، وكانت آيات القرآن الكريم هـي النور الذي يمشـون على ضوئه في الحيـاة، وكانوا يعملون بالحق ومـن أجـل الأجر الإلهـي، ويقفـون مع المظلـوم ضد الظالـم في كل مراحل حياتهم.

ولا شك أن الذي يبحث عن ثواب الله،يختلف عمن يبحث عن الأجـر عند الناس، فمن يبحث عن ثواب الله يلتزم بالإيثار و التضحية و المواسـاة، ويجد أن تلك لها من الأجـر والثواب أكثر من غير ذلك، بينمـا الـذي يبحث عن مصلحـة دنيوية لن يكـون إلا أنانيـاً يحب ذاته ويركب مراكب الشهوات ويبتعد عن الفضائل من الصفات.

لقد كان العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولئك الرجال الذين يريدون الثواب لا النصر ويبحثون عن رضا الله لا رضا الناس، ولذلك فإنه كان يعمل من دون أن يفتخر بما عمل، لقد ترك فخره إلى الميزان، كما ترك راحته إلـى المـوت، فلم يكن يريـد إلا الأجر ولذلك ذكـر المؤرخون أنه لما رأى العبـاس بن علـيعَلَيْهِ السَّلَامُ كثرة القتلى من أهله جمـع إخوته من أبيه وأمـه، وهـم عبد الله وجعفر وعثمـان، وقال لهـم: «يا بنـي أمي تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله و رسوله، تقدموا حتى أُثابّ بكم».

(١) نهج البلاغة، باب الوصايا.

فهو كان يرغب أن يرى أخوته وقد جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا وقُتلوا، وكان يرغب في أن يُصاب بهم ويصبر على بلاء الله فيوفيه الله أجر الصابرين.

وهكـذا فعل أخوته بوصيته، فبرز عبـد الله بن علي عليه السلام وكان عمره خمسة وعشرين عاماً،وكان يرتجز ويقول:

أنا ابن ذي النجدة والإفضال ذاك عليٌّ الخير ذو الفعالِ
سيف رسـول الله ذو النكالِ فـي كـل يـوم ظاهر الأهــوالِ

فبـارزه من جيش بني أمية هاني بن ثبيت الحضرمي، واستشـهد عبد الله بن علي على يديه.

ثم برز أخوه جعفر بن علي عليه السلام وهو يقول:

إنــي أنــا جعفر ذو المعالي ابــن علي الخير ذو النوالي
حسبي بعمي شـرفـاً وخالي

فحمـل عليـه هاني بن ثبيـت الحضرمي أيضا، فقتله وحز رأسـه الشريف.

ثـم برز من بعده أخـوه عثمان بن علي عليه السلام، وقـام مقام أخوته وكان عمره واحداً وعشرين عاماً، وهو يقول:

إنــي أنــا عثمان ذو المفاخر شيخي علي ذو الفعال الطاهر
هــذا حسين خـيـرة الأخـايـر وسـيـد الـكـبـار والأصــاغــر
بعد الرسول والوصي الناصر

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي على جبينه فسقط على فرسه، وحمل عليه رجلٌ من بني أبان بن دارم فقتله، وقطع رأسه كما فعلوا ذلك بأخيه، وكان العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ ينظر إلى إخوته وهم يقاتلون ويُقتلون. لقد كان في مقتل إخوته يريد أن يصبر على البلاء ليحصل على الأجر والثواب كما قال الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبته في ظهر الكوفة: «رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين».

فلا صفة أعلى من صفة الصبر، ولا أجر أكثر من الأجر عليه. لا شك أن من الصعب أن يرى الإنسان إخوته مجزرين كالأضاحي،ولكن حينما يكون ذلك من أجل الحق فإن الثواب يزداد بكل مصيبةٍ ترِدُ على المرء و يصبر عليها في سبيل الله.

ولقد تحمّل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ كل أنواع الشدائد المتصورة في يوم عاشوراء، وكان يريد بذلك أن يكسب أكبر قدرٍ ممكن من الأجر والثواب، فهو يريد أن يكسب الثواب على الشجاعة، وعلى المواساة، وعلى التضحية، وعلى السقاية، وعلى الصبر على المصيبة أيضاً.

ثامناً: الوفاء

قمة صفات الرجل النبل، وقمة النبل الوفاء، ولذلك فعندما سُئلت فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ عن أفضل صفات الرجال أجابت«الوفاء» وعندما سُئلت عن أسوأها أجابت«الغدر».

وفي يوم عاشوراء حين عز الناصر و ازداد البلاء، وكان الموت

يحوم علـى رؤوس الرجال، بقي العبـاس عليه السلام وإخوته عليهم السلام أوفياء لأخيهم الحسين بن علي عليه السلام الذي كان يهدده الأعداء بالموت.

كان العباس عليه السلام يرى أنه ما دام الخطر يحيط بالحسـين عليه السلام مـن كل جانـب، فـلا بـد أن يتحملوا هـم ذلـك الخطـر، ويدفعوه عن الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام مهما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

فهم يخاطرون بأنفسهم من أجله ويرفضون الحياة دونه. ولذلك فإنهم رفضوا فرصة البقاء أحياء من دون الحسين عليه السلام مرتين.

فقبل قدوم شمر بن ذي الجوشن إلى كربلاء استحصل عبد الله بن أُبي المحل وهو من أخوال العباس عليه السلام، اسـتحصل من عبيد الله بـن زياد على الأمان لهم، فقد قال لهذا الأخير: «أصلح الله الأمير، إن بَنِي أختنا مع الحسين،فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت».

فقـال ابن زيـاد: «نعم،ونعمـت عيني»،ثم أمر كاتبـه فكتب لهم أمانًا، وبعث به عبد الله بن أُبي المحل مع مولى له يقال له كزمان، فلمَّا قـدِم هذا الأخير على العباس عليه السلام وإخوته عليهم السلام قال لهم: «هذا أمان بعث به خالكم».

فرفـض العباس عليه السلام اسـتلام الأمان، وقـال لكزمـان: «أبلِغ خالنا السلام، وقل له لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خيرٌ مِن أمان ابن سمية»[١].

ومـرة أخرى رفـض العباس عليه السلام وإخوتـه عليهم السلام الأمان الذي

(١) تاريخ الطبري، مجلد ٦، ص٢٣٦.

جـاء بـه شـمر قبل يومٍ واحـد من مقتلهم، فقـد روي أنه لما جاء شـمر بكتـاب من عبيـد الله بن زياد إلى عمر بن سـعد يطلـب منه أن يزحف على الحسـين عليه السلام ويقضي عليه وعلى أصحابـه، وأن يُجري الخيل عليهـم بعـد مقتلهـم و حمّله كتاباً آخـر يُعطي الأمـان للعباس بن علي وإخوته، فجاء الشـمر إلى مقربة من مخيم أبي عبد الله الحسين عليه السلام ونادى بأعلى صوته: أين بنو أختنا؟ أين العباس وإخوته؟.

غيـر أن العبـاس عليه السلام رفض أن يجيبه، فكرر شـمر نداءه قائلاً: أين بنو أختنا؟ أين العباس وإخوته؟

فقال الحسين عليه السلام للعباس عليه السلام : «أجيبوه ولو كان فاسقاً».

فجاء إليه العباس عليه السلام ووقف بإزائه قائلاً: «ما شأنك وماتريد؟»

قال شمر: جئت لكم بأمانٍ من عبيد الله بن زياد، فأنت وأخوتك آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد ابن معاوية.

فقـال له العباس عليه السلام : «لعنك الله، ولعـن أمانك، أتؤمننا وابن نبيك رسول الله لا أمان له، وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء، وأولاد اللعناء؟!».

ثم أدار وجهه عنه، وقفل راجعًا إلى الحسين عليه السلام [1].

لقد كان أعداء الحسـين عليه السلام يحسـبون للعبـاس عليه السلام وإخوته

(١) تذكرة الخواص، ص١٤٢، أعلام الورى، ص١٢٠، أسرار الشهادة، ص٣١٨.

عليهم السلام حساباً خاصاً، فهم يعرفون شجاعتهم وبأسهم وثباتهم، ولذلك كانوا يحاولون مهما أمكن إبعادهم عن الحسين عليه السلام لكنهم أساؤوا الظن بالعباس عليه السلام وإخوته عليهم السلام، واعتقدوا أن هؤلاء ينظرون إلى الدنيا وكأنها هي الحياة الأبدية كما يفعل أصحاب المصالح أو أنهم يمكن أن يستبدلوا الحق بالباطل،خوفاً من الموت، فخاب ظنهم في العباس عليه السلام الذي كان نافذ البصيرة وقد زُقَّ العلم زقًّا.

لقد كان العباس عليه السلام يريد الأمان والأمن ولكنه كان يريدهما للحسين عليه السلام أولاً فهو من الأوفياء الذين قلّ نظيرهم في التاريخ.

فهذه كتب التاريخ تروي أن الحسين عليه السلام لما خطب ليلة عاشوراء في أصحابه وطالبهم بأن يتخذوا الليل جَمَلاً، ويتفرقوا عنه، لأن الأعداء يريدونه،ولو أنهم ظفروا به لم يقتلوا غيره، وقال لهم: «إن هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جَمَلاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أصحابي، وتفرقوا في سواد ليلكم هذا». وبعضهم بالفعل قد تفرق عن الحسين عليه السلام هناك قال العباس عليه السلام : «ولِمَ يا أباعبد الله؟،ألكي نبقى بعدك؟فقبح الله العيش بدونك يا أبا عبد الله».

لقد كان العباس عليه السلام من الأولياء الصالحين الذين كفروا بالطاغوت وآمنوا بالله ومثلهم لا يمكن أن يخضع للباطل مهما كان قوياً، ولن يترك الوفاء مهما كانت الأخطار محدقةً، فإذا لم يكن هنالك خيارٌ غير الموت فسوف يستقبله بكل رحابة صدر ما دام ذلك في سبيل الله، ولمواجهة الطغيان والظالمين.

وتميز بمنظومة البطولات

ينقســم الناس في مسـألة الالتزام بالمثل و القيم، وعدم الالتزام بهما إلى قسمين: قسم لا مبدأ له في الحياة،فمبدؤه مصلحته، ومصلحته مبدؤه. فلا يبحث في الدنيا إلا عن إشـباع نهمه، وإرضاء شهوته، ومن ثم فهو يطارد الدينار و الدرهم أينما وجدا، وينزلق إلى مستنقع الرذائل مهما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يرى في أي عمل بأساً مادام يحصل به على الحطام في هذه الحياة.

وقسـمٌ يلتـزم بالمبـادىء و القيـم و المثـل، ويؤدي مسـؤولياته وواجباتـه، ولا يتنازل عـن ذلك من أجل مصلحة، أو لإرضاء شـهوة، أو ماشبه ذلك.

ثـم يمتـاز الذين يلتزمون بالمثـل و القيم بالمواقـف الرجولية و مقدارهـا، أي أن الذين يؤمنون ويلتزمون ويقفون المواقف الصعبة في الحياة يمتاز بعضهم عن البعض بكثرة المواقف المبدئية و قلّتها.

فقـد يكون لإنسـان مؤمن موقـف رجولي واحد فـي حياته،وقد

تكون مواقفه الرجولية سلسلة متصلة، تبدأ من الأيام الأولى في حياته وإلى نهايتها.

ولقد كان الأنبياء و الأولياء يمتازون عن المؤمنين العاديين بكثرة المواقف المبدئية في حياتهم، فلم تكن مواقفهم تلك يتيمة أو استثنائية،بل كانت جزء من حياتهم اليومية يتبع بعضها بعضاً.وهكذا أصحابهم الأوفياء و حوارييهم الأبطال.

فهذا أبو الفضل العباس عليه السلام عُرف بسلسلة مترابطة من المواقف في سبيل الله ولمصلحة المستضعفين، فمثلاً من الأمور التي كان يتميز بها هو السقيُ للماء، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الماء هو المادة الأولى للعيش، وعليه تتوقف حياة جميع الأحياء، إن ربنا بدأ الخلق بالماء، فإن الاهتمام بإيصال الماء إلى الأحياء يكون اهتماماً بحياتهم.

ولقد عرف العباس عليه السلام بالسّقاء ليس فقط في واقعة الطف في كربلاء، وإنما قبل ذلك أيضاً، لكثرة ما كان يهتم بسقي العطاشى في شتى المناسبات حتى إنه منذ الصغر عندما كان لا يزال طفلاً كان هو الذي يسقي إخوته وأخواته كلما احتاجوا إلى الماء، فكان هو المبادر الأول لسقي العائلة.

واستمر معه ذلك إلى أن كبُر، ففي معركة صفين بعد أن امتلك معاوية بن أبي سفيان ماء الفرات ومنعه عن أصحاب الإمام علي عليه السلام، أرسل الإمام صعصعة بن صوحان العبدي إلى معاوية يطلب منه أن لا

يمنع الماء الذي أباحه الله سبحانه وتعالى لجميع المخلوقات عن أحدٍ من المسلمين، غير أن معاوية بن أبي سفيان أبى أن يسمح لأصحاب الإمام بأخذ الماء، وامتنع عن ذلك طمعاً في أن يفرض بذلك على الإمام وأصحابه الاستسلام، عندها قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قولته الشهيرة«ارووا السيوف من الدماء، تروون من الماء» ثم أمر أصحابه أن يحملوا على أهل الشام حتى يكشفوهم عن الشريعة، وكان ممن حمل على العدو، واستطاع أن يجبره على التراجع كل من مالك الأشتر، والحسين بن علي، وأبي الفضل العباس واستطاعوا أن يهزموا جيش معاوية وأن يمتلكوا الشريعة، ولكنهم لم يفعلوا بهم مثل ما فعلوا بهم بل تركوا الماء لمن يريده، عدواً كان أم صديقاً.

ولقد سمي العباس عليه السلام بالسقاء ليس فقط لدوره في صِفِّين بل لما ذكرناه قبل ذلك أيضاً. فكأن الأمر كان هوايةً له، وعادة خيرة من عاداته الخيرة الأخرى، فحيث كان يرى عطشاناً كان يبادر إلى سقيه، ولهذا فإنه في كربلاء قام ثلاث مرات بالحصول على الماء بقوة السلاح، وحمله إلى مخيم الحسين عليه السلام .

ففي اليوم السابع من محرم الحرام حوصر الإمام الحسين عليه السلام ومن معه ومنعوا الورود إلى الماء، ونفذ ماعندهم منه و«أخذ كل واحد منهم يعالج لهب الأوام بما يستطيع وكانوا بين أنة وحنة، وتضورٍ ونشيج، وطالب للماء إلى متحرٍ ما يبل غلته». كما يقول المؤرخون، عندئذٍ ندب الحسين عليه السلام أخاه العباس عليه السلام، وطلب منه الحصول على الماء بما أمكن، فخرج العباس عليه السلام ومعه ثلاثون

فارساً يحملون عشرين قربة، وانطلقوا نحو معسكر العدو وكان عمر بن سعد قد عهد بحراسة الماء إلى (عمرو بن الحجاج) الزبيدي وهو من طغاة أصحابه، فنادى عمر بن الحجاج:

ما جاء بكم؟

فقال نافع بن هلال من أصحاب الإمام عليه السلام: جئنا لنشرب الماء الذي حلأتموه عنا.

فقال له الحجاج: اشربوا ما شئتم، ولا تحملوا معكم.

فقالوا: أفنشرب والحسين عليه السلام عطشان؟

قال عمر بن الحجاج: لا سبيل لسقي هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لمنعهم عن الماء.

فحمل العباس عليه السلام ومن معه عليهم حتى كشفوهم عن الشريعة، بينما ملأ الأصحاب القرب بالماء، واستطاعوا أن يأتوا به إلى المخيم، وليس في القوم المناوئين من تحدثه نفسه بالدنو منهم، خوفاً من شجاعة العباس عليه السلام وأصحابه.

«فبلت غلة الحرائر والصبية من ذلك الماء وابتهجت به النفوس»[1].

ولا شك أن تلك الكمية القليلة من الماء، في ذلك الحر الشديد، وفي تلك الصحراء القاحلة، لم تكن تنفع ذلك الجمع الذي كان يتراوح بين مئة وخمسين إلى مائتين من الرجال والنساء والأطفال إلا

(١) تاريخ الطبري، المجلد ٦، ص٢٣٤، الأخبار الطوال، ص٥٣.

لفتـرة قصيرة من الزمـن غير أن موقف العبـاس عليه السلام حُفظ له كواحدٍ من مواقف الرجولة النادرة في التاريخ ولقد قال الشاعر في ذلك:

وثنى أبو الفضل الفوارس نكصاً ... فـرأوا أشـدّ ثباتهم أن يُهزموا
مـا كـرَّ ذو بـأسٍ لـه متقدماً ... إلا وفـرَّ ورأسـه المتقدم
صبغ الخيول برمحه حتى ... غدى سيان أشقر لونها والأدهم
ماشد غضباناً على ملمومة ... إلا وحـل بها الـبـلاء المبرم
وله إلى الأقـدام سرعة لهاربٍ ... فكأنما هـو بالتقدم يسلم
بطل تـورث من أبيه شجاعةً ... فيها أنوف بني الضلالة ترغم
يلقى السلام بشدة من بأسه ... فالبيض تثلم والرماح تحطم
عرف المواعظ لا تفيد بمعشر ... صموا عن النبأ العظيم كما عموا
فانصاع يخطب بالجماجم والكلا ... فالسيف ينثر والمثقف ينظم
أو تشتكي العطش الفواطم عنده ... وبصدر صعدته الفرات المفعم
لو سدُّ ذي القرنين دون وروده ... سقته همته بما هـو أعظم
ولو استقى نهر المجرة لارتقى ... وطـويـل ذابـلـه إلـيـها سلم
حـام الضعينة أيـن منه ربيعة ... أم أيـن عـليـا أبـيـه مكدم
في كفه اليسرى السقاء يقله ... وبكفه اليمنى الحسام المحدم
مثل السحابة للفواطم صوبه ... ويصيب حاصبه العدو فيرجم

لقـد كانت تلـك أول مواجهة مسـلحة في كربـلاء بين أصحاب الإمـام الحسـين عليه السلام وبين أصحـاب يزيد بـن معاويـة، وانتهت إلى انتصـار أصحـاب الإمام بقيـادة العباس عليه السلام وحصولهـم على الماء رغم أنوف الطغاة.

ومن السقاية للماء إلى الصفات النبيلة الأخرى امتلك العباس عليه السلام كل ما يخطر في البال من الفضائل في سلسلة مترابطة يشد بعضها بعضاً، وارتبط اسمه بها منذ بداية شبابه، ففي الوقت الذي كان أقرانه من شباب المسلمين قد تبدلت حالاتهم وتغيرت نفوسهم بسبب الفتوحات التي أغدقت عليهم الأموال، وفتحت عليهم نعيم الدنيا ورفاهيتها فكانوا يبحثون عن الراحة والملذات كان العباس في ذلك الوقت يبحث عن المواقف البطولية التي تتطلب المغامرة والبسالة والشجاعة، ويعمل بالحديث الشريف: «خصلتان ليس فوقهما شيء من البر: الإيمان بالله، والنفع لعباد الله».

فلم يكن يهتم بنفسه، بل يهتم بالحق، ولم يكن يفكر في مصلحته، بل في مصلحة الإسلام فيه.

فإن دوره في يوم عاشوراء لم يقتصر على حمل اللواء أو القتال بل كان يتعدى ذلك إلى أمورٍ أخرى منها مثلاً: إنه كان المفاوض القوي الذي يخشاه العدو ومن ثم فقد كان قادراً على أن يفرض منطقه عليه، ذلك أن المفاوضات في الحروب هي مواجهة بقوة المنطق، كما أن التلاحم بالسيف منطق بقوة السلاح، فعندما هجم العدو يوم التاسع من المحرم على مخيم أبي عبد الله عليه السلام، وسمعت زينب طقطقة السيف وأصوات حوافر الخيل، جاءت إلى الإمام وكان يغفو عليه السلام فقالت: «أخي قد اقترب العدو منا» فقال الحسين للعباس عليه السلام «اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم واسألهم عما جاء بهم و ما الذي يريدون».

فركب العباس عليه السلام في عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب ابن مظاهر وغيرهم و سألوهم عما جاء بهم فقالوا«جاء أمر من الأمير عبيد الله بن زياد أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نناجزكم الحرب».

فوعظهم عليه السلام العباس ومن معه ولما لم ينفع معهم النصح في ذلك، شهروا سيوفهم في وجوه الأعداء ولاحت للجميع صورة الموت منعكساً في سيوف العباس عليه السلام وأصحابه، فتوقفوا عن الزحف، ورجع العباس عليه السلام إلى الحسين عليه السلام يخبره بمقالة القوم وكيف أنه أوقفهم عند مواقعهم فقال له الإمام: «ارجع إليهم واستمهلهم هذه العشية إلى غد لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه، ونستغفره، فإنه تعالى يعلم أني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار».

وهكذا فإن ما فعله العباسُ عليه السلام في هذه المفاوضات هو أنه أفهم العدو أن أصحاب الحسين مستعدون للمواجهة التي فيها الموت الزؤام، إلا أنهم يطلبون سواد ليلة للصلاة والدعاء وتلاوة الكتاب وقد نجح في أن يمنع العدو من شن الحرب في اليوم التاسع من المحرم.

ولم تكن تلك المفاوضات بأقل من التلاحم في يوم عاشوراء، لأن الحرب إذا كانت شديدة الصعوبة في ساعات المواجهة ولا يصمد فيها إلا الأبطال، فإن المفاوضات ما بين طرفي القتال هي الأخرى شديدة الصعوبة إذ لا يستطيع أن ينجح فيها إلا من يمتلك من مضاء المنطق بمقدار ما يملك من قوة السيف، ويملك من قوة السيف بمقدار ما يملك من مضاء المنطق.

ولقـد كانت قـوة المنطق في العباس عليه السلام بحجم شـجاعته في القتـال، ولذلـك فإنه كان يمثل أخاه الحسـين عليه السلام ليـس في مواقف المواجهة مع العدو فحسب، وإنما كان يمثله أيضاً في ساعات العسرة للتأثير على عياله ونفخ روح الثبات والسكون والسلام فيهم.

فقد ذكر المؤرخون أنه لما خطب الإمام الحسـين عليه السلام خطبته الثانيـة التـي نـدب فيهـا نفسـه، وسـمعت زينب وبناتـه كلامـه بكين، وارتفعت أصواتهن بالنحيب، فوجه اليهن الحسين عليه السلام كلاً من أخاه العبـاس عليه السلام وابنه عليًّا الأكبر عليه السلام وقال لهما: «سـكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن».

وواضح أن المقصود من إسـكات النساء ليس مجرد إصدار أمر لهم بالسـكوت، وإنما يعني تهدأتهن بمنطق رباني وإفاضة روح الصبر عليهن.

ثم أن العباس عليه السلام لما كان يمتلك من صفات النبل والشـجاعة والبسـالة و روح الصمود والتعاون والدفاع عن المستضعفين كان سنداً لكل من يتورط في حالة المواجهة مع العدو ويشد ظهره ويؤازره القتال.

فعندمـا كان أصحاب الإمام الحسـين عليه السلام بعد الحملة الأولى التـي التحـم فيهـا الطرفـان واستشـهد منهـم خمسـون رجـلاً، أخذوا يخرجون ثلاثة ثلاثة، أو أربعة أربعة أو ما شـابه ذلك و يحمي بعضهم ظهر الآخر. كان أحياناً يسـتطيع العدو بالاعتماد على كثرة عدده وقوة عدته أن يحيل بينهم وبين مخيم الحسـين عليه السلام فيقع هؤلاء في كمين

الأعداء، فكان الإمام عليه السلام يرسل أخاه العباس عليه السلام لنجدتهم.

وقد ذكر الطبري في تاريخه إن عمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، وجابر بن حارث السلماني، ومجمع بن عبد الله العائدي شدّوا جميعاً على أهل الكوفة، فلما أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كل جانب وقطعوهم عن أصحابهم، فندب إليهم الحسين عليه السلام أخاه العباس عليه السلام فاستنقذهم بسيفه وقد جرحوا بأجمعهم، وفي أثناء الطريق هجم عليهم العدو من جديد فشدوا بأسيافهم مع ما بهم من جراح وقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد رضوان الله عليهم(١).

وبقي هذا الدور للعباس عليه السلام مع جميع الأصحاب إلى آخر اللحظات حيث لم يبق إلا الحسين وهو، فكان العباس يشد أزرَ أخيه إذا هجم على العدو أو يشد الحسين عليه السلام أزره إذا هجم العباس عليه السلام وحدث ذلك مرتين أو ثلاثاً بعد مقتل الأصحاب جميعاً ولذلك فإن الحسين عليه السلام قال بعد سقوط العباس عليه السلام شهيداً قولته الشهيرة: «الآن انكسر ظهري وقلَّت حيلتي وشمت بي عدوي».

فالعباس عليه السلام كان ظهر الحسين عليه السلام تماماً كما كان ظهر أصحابه، ومع سقوطه شهيداً انكسر ظهر الحسين عليه السلام وكان العباس عليه السلام مخططاً لجبهته ولذلك فقد قلت «حيلة الحسين» بمقتله.

وكان العباس عليه السلام مصدر خوف لأعدائه بمقدار ما كان مصدر أمن لأصحابه ولذلك فإن العدو شمت بالحسين عند سقوط العباس عليه السلام.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٦، ص٢٥٥.

وختم حياته بالشهادة

الشـهادة في سـبيل الله توفيق لايحصل عليـه إلا الأتقياء الذين نذروا أنفسـهم في سـبيل دينهم، وإذا كان من الصعب أن يحافظ المرء على رباطة جأشـه، ويتحمل عشـرات المصائب في فترة زمنية قصيرة، لاتتجـاوز نصـف نهار، إلا أن المؤمنين يسـتمدون عزيمتهـم من الله، فهـم بعزته يعتزون وعليه يتوكلـون ومن أجله يقاتلون ومن أجل دينهم يُقتلون. ومن هنا فإن اشتداد الأزمة عليهم وصعوبة الموقف لاتزيدهم إلامضاء في العزيمة وثباتاً على المبدأ.

وهـذا ماحدث للعباس بن علي عليه السلام فبعد أن قُتِلَ كل رفاقه في صحـراء كربلاء شـعر أن دوره قد حان لنيل الشـهادة. ولأنـه كان واثقاً مـن الحق الذي كان عليه فقـد كان يأنس بالموت. كما كان أبوه عليه السلام كذلك.

ألـم يقل أمير المؤمنين سـلام الله عليه: «واللـه لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل إلى ثدي أمه؟».

وألم يقل حينما ضربه ابن ملجم وا قترب من الرحيل إلى بارئه: «وهل أنا إلا كطالب ورد؟».

لقد كان الموت في تلك اللحظات بالنسبة إلى العباس عليه السلام بمنزلة الشربة الباردة في اليوم الصائف، إلا أن مهمته ازدادت هنا صعوبة إذ كان عليه أن يحمي العيال ويشد ظهر الحسين عليه السلام ويهتم بالأطفال في آن واحد، وعلى كل حال لم يكن يريد أن يقتل الحسين عليه السلام قبله فلا يجوز أن يصل إلى الحسين عليه السلام سوء، وللعباس عليه السلام عين تطرف.

لايجوز أن يتلقى الحسين عليه السلام ضربة سيف وفي العباس عليه السلام عرق ينبض.

إنه المدافع الأول فلا بد أن يكون المدافع الأخير، لقد كان العباس عليه السلام السد المنيع الذي يحول بين العدو وبين مقتل سيد الشهداء عليه السلام ، كان عمود الخيمة، والخندق المتقدم، والرجاء الأخير، لحرائر النبوة من النساء والأطفال.

فمع أن كل الرجال من أصحاب الحسين عليه السلام كانوا قد صرعوا على الأرض إلا أنه كان هنالك أمل كبير عند أهل البيت لأن العباس عليه السلام كان لايزال حياً.

وهَا هُوَ بقده الرشيق، وبعزيمته التي تهد الجبال، وبشجاعته النادرة وبعزيمته الثابتة، لايزال يمتطي فرسه ورجلاه تخطان على الأرض، ويده على مقبض سيفه، يدور حول أخيه ليمنع عنه الظلم

والعـدوان، ويـدور حول المخيم ليمنع جُهَّـال الكوفة من أن يتعرضوا لحرم رسول الله ﷺ.

غيـر أن سـاعة الحقيقة كانت قد دنت، فجـاء العباس عليه السلام إلى أخيه عليه السلام قائلاً: «أبا عبدالله، أتأذن لي في البراز»؟.

وربما كانت تلك أصعب كلمة يسـمعها الحسـين عليه السلام في يوم عاشوراء على الإطلاق.

لقد اسـتأذنه الذين سـبقوه مـن أصحابه، ومن أخوتـه ومن بنيه، ولكـن لا أحـد منهم كالعبـاس عليه السلام .. شـجاعةً ومنعةً، وقـوة قلب، ومضـاء إيمان، ثم أن العباس عليه السلام هو حامل الراية التي إذا انتكسـت فتعني نهاية المواجهة.

فقال الحسين عليه السلام له: «يا أخي، أنت صاحب لوائي».

فقـال العباس عليه السلام : «أبا عبدالله، لقد ضاق صدري، وأريد أن آخذ ثأري من هؤلاء المنافقين».

فقال له الحسين عليه السلام : «إذن فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء».

كأن الحسـين عليه السلام كان يقول له: اطلـب، وأنت الطالب الدائم له، وابذل المحاولة الأخيرة، ولتكن شهادتك في هذا الطريق.

فجـاء العباس عليه السلام إلـى العدو، وحـاول أن يحصل على الماء بقـوة المنطق، فنادى: «يا بن سـعد،هذا الحسـين ابن بنت رسـول الله ﷺ قـد قتلتـم أصحابه وأهل بيتـه، وهؤلاء عياله وأولاده عطاشـى،

فاسقوهم من الماء فقد أحرق الظمأ قلوبهم، وهو مع ذلك يقول دعوني أذهب إلى الروم أو الهند وأخلي لكم الحجاز والعراق».

فانبرى له شمر بن ذي الجوشن، هذا الطاغوت الحقير الذي امتلأ حقداً على أهل البيت عليهم السلام، فرد عليه قائلاً: «يا بن أبي تراب، لو كان وجه الأرض كله ماء وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد».

وعندما لم تنفع معهم قوة المنطق لم يبق أمامه إلا أن يطلبه بمنطق القوة. ولذلك فما إن سمع الأطفال يصرخون، العطش، العطش، حتى حمل القربة على ظهره،وقفز على ظهر فرسه، وقصد الفرات وحده،وكان يحيط بها أربعة آلاف من الرجال، فحمل عليهم وهو يقول:

أقسمت بالله الأعز الأعظم وبالحجون صادقاً وزمزم
وبالحطيم والفنا المحرم ليخضبن اليوم جسمي بدمي
دون الحسين ذي الفخار الأقدم إمام أهل الفضل والتكرم

كأنه كان يقول لهم: ها أنا جئت وموتي في كفي.. جئت ودمي يشخب من أوداجي أمامي، فلست خائفاً، أو مذعوراً، فتعالوا إليَّ، فمن أراد أن يحصده سيفي، فليبارزني.. فهربوا منه وأخذوا يرمونه بالنبال فلم يمنعه ذلك، وقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل منهم ثمانين وكشفهم عن المشرعة دون أن ترعبه كثرتهم، وكان يرتجز قائلاً:

أنا الذي أُعرف عند الزمجرة ابن علي المسمى حيدرة

واستطاع في فترة قصيرة أن يرمي بعضهم على بعض ويدخل الماء ونتيجة العطش الشديد الذي أَلَمَّ به فقد امتدت يده إلى الماء، فاغترف منه غرفةً، ولما أحسّ ببرودته، تذكر عطش الحسين عليه السلام والأطفال، فرمى الماء من يده، وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لاكنت أن تكوني
هذا حسين شارب المنون وتشربين بارد المعين
تالله ماهذا فعال ديني ولافعال صادق اليقين

ثم ملأ القربة وتوجه نحو المخيم فسدوا عليه الطريق، فجعل يضربهم بكل ما امتلك من قوة، وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أوارى في المصاليت لقى
إني أنا العباس أغدو بالسقى ولاأخاف الموت يوم الملتقى
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقى

ومع أنه فرقهم عن الطريق، إلا أن (زيد بن الرقَاد الجهني) كَمَنَ له من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل – عليهما اللعنة– حتى إذا مرَّ العباسُ عليه السلام وكلّ همّه أن يوصل القربة إلى المخيم بأي ثمن ضرباه على يمينه، فسقطت،فتلقف العباس عليه السلام سيفه بشماله،وحمل عليهم،وهو يرتجز ويقول:

والله إن قطعتموا يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

وفيما هو كذلك كمن له حكيم بن الطفيل من وراء نخلة أخرى

فضربـه على شـماله فقطعهـا، فضم العبـاس عليه السلام اللـواء إلى صدره وأخذ يرتجز ويقول:

يا نفس لاتخشي من الكفار وأبـشـري بـرحـمـة الجبار
قـد قطعوا ببغيهم يساري فأصلهم يـارب حـر الـنـار

فتكاثـروا عليـه وأتتـه السـهام مـن كل جانـب كأنهـا زخـات المطر،وهـو حينئـذ لايملـك يـداً ليدفع بها العـدو فكان يتقي السـهام بصـدره، ووجهـه ونحره، مجداً في السـير نحو مخيم الحسـين عليه السلام لعله يستطيع أن يوصل الماء إلى الأطفال، إلا أن كثرة السهام منعته من ذلك.. فسـهم أصاب عينه، وسهم أصاب صدره، وسهم أصاب القربة فأريق ماؤها، عندها تسمر العباس عليه السلام في مكانه، ولم يعد له أمل لا في القتال، ولافي إيصال القربة إلى المخيم.

وهنا تقدم واحد من الجبناء من أعدائه – من الذين كانوا يخشون مـن قبل الاقتـراب منه حينما كانت يداه سـالمتين – وضربه بعمود من حديد على رأسـه، فهـوى العباس عليه السلام إلى الأرض منادياً: (السـلام عليك يا أبا عبدالله).. وكان الحسـين عليه السلام حينئذ واقفاً بباب الخيمة يتحـرى أخبار أخيه عليه السلام ، وحينما سـمع صوت العباس عليه السلام عرف أن المصيبـة التـي كان يتوقعهـا قد وقعت،وأن العبـاس عليه السلام لا ينادي مسـتنجداً إلا في اللحظات الأخيرة من حياته، فأتاه كالصقر المنقض، وحينمـا وقف عليـه مقطوع اليمين والشـمال ورأى عينـه وقد حفرت بالنبل، ورأى قطعاً من جمجمته متناثرة على الأرض، أما جثته فكانت ممتلئـة بالجراحات... فانثنـى عليه، وبكى بكاء عالياً، ثم أخذ يمسـح

عـن وجهه الدم والتراب،وفي تلك اللحظات فاضت روح أبي الفضل العباس عليه السلام إلى بارئها.. بعد أن حمل الأمانة بإخلاص، وتحمل من أجل الحق كل ظلم واضطهاد.

فـخـرَّ كـالـطـود والأبـصـار شاخصة
تـرنـو إلى عـلـم مـلـقـى إلى علم
وأقـبـل الـسـبـط لـلـعـبـاس مـنـكـسراً
يـسـعـى إلـيـه بـظـهـر مـنـه منقصم
أخـي هـذا حـسـامـي فـلَّ سـاعـده
ولـف بـنـدى فمن للسيف والعلم؟
أخـي قـد كنت حصناً فيه معتصمي
وقـد مضيت، فمن لي بعد معتصم؟
أخـي هـذي جيوش الـشرك قد زحفت
مـن بعد شخصك أفـواجـاً إلى خيمي
فـمـن يـصـد جمـوع الـشرك هـاجمـة؟
ومـن يـصـون بـها في عـزمـه حـرم

ثـم هجـم الحسـين عليه السلام علـى الأعـداء، يضـرب فيهـم يمنياً وشـمالاً،وكانوا يفـرَّون مـن بيـن يديـه كمـا تفر المعـزى إذا شـدَّ فيها الأسد،وهو يقول عليه السلام : «إلى أين تفرون وقد قتلتم أخي».

«إلى أين تفرون وقد قتلتم عضدي».

واسـتغل العـدو مقتـل العبـاس عليه السلام ، فتدافعـوا إلـى مخيـم الحسـين عليه السلام ،ونظر أبوعبدالله عليه السلام فلم ير أحداً ينصره، ونظر إلى

أهلـه وصحبه مجزرين كالأضاحي، وهو إذ ذاك يسـمع عويل الأيامى وصـراخ الأطفال، فنـادى بأعلى صوته: «هل مـن ذاب يذب عن حرم رسول الله»؟.

«هل من موحد يخاف الله فينا»؟

«هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا»؟

«هل من معين يرجو ما عندالله في إغاثتنا»؟

ولـم يكن الحسين عليه السلام يطلب عوناً من العدو، بل كان يستغيث بمـن يمكن أن يكون له قلـب أو ضمير لعله يرتدع عـن طريق الباطل، ويسـلك صراط الحق ويهتدي بهديه لكنه لم يسـمع إلا صوت الأسنة والرماح.

لقـد كان العبـاس عليه السلام قـوة فـي قلـب الحسـين عليه السلام ،ونوراً في بصره، وسـيفاً في كفّـه، ولمّا قتل هدّه مقتله فقـد رجع إلى المخيّم (منكسراً حزيناً) -كما يقول المؤرخون- يكفكف دموعه بِكُمِّه،وحينما سألته ابنته سكينة عن عمّها، أجاب: (بُنَيَّة.. لقد قُتِل عمك العباس)!.

ولقـد عمـد الأعـداء إلى قطع يـديّ العباس عليه السلام غـدراً وغيلة لأنهم عرفوا أن لا أمل لأحد بالاقتراب منه ما دامت يداه سالمتين.

وعمـدوا إلـى ضرب عينيه بسـهم لأنهـم كانوا يعرفـون أن عين العباس عليه السلام لاترنو إلا لتحقيق هدفه في هذه الحياة.

انتقمـوا من يديـه المدافعتين أبـداً عن الحق، وانتقمـوا من عينه

الشـاخصة دائما إلـى الحقيقـة، وقطّعوه قبـل أن يقتلـوه... وتلك هي طريقة الجبناء في قتل العظماء..

لقد قالت أمه ﷺ في حقه:

يـا مـن رأى الـعـبـاس كـرَّ عـلـى جـمـاهـيـر الـنـقـد
ووراه مـن أبـنـاء حـيـدر كـل لـيـث ذي لـبـد
نُـبـئـت أن ابـنـي أصـيـب بـرأسـه مـقـطـوع يـد
ويـلـي عـلـى شـبـلـي أمـال بـرأسـه ضـرب الـعـمـد
لـو كـان سـيـفـك فـي يد يـك لـمـا دنـا مـنـك أحـد

وقالت أيضاً:

لاتـدعـوَنِّـي ويـك أم البنين تـذكـرونـي بليوث العرين
كـان بـنـون لـي أدعـى بهم واليوم أصبحت ولامـن بنين
أربـعـة مـثـل نـسـور الـرُّبـى قد واصلو الحرب بقطع الوتين
تـنـازع الـخـرصـان أشلاءهم فكلهم أمسى صريعاً طعين
ياليت شعري أكما أخبرون بـأن عـبـاسـاً قطيع الوتين

ورثـاه حفيده الفضل بـن محمد بن الفضل بن الحسـن بن عبيد الله بن العباس ﷺ قائلاً:

إنـي لأذكـر للعباس موقفه بكربلاء وهـام القوم يختطف
يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ولا يولي ولاينثني فمختلف
ولا أرى مشهدًا يومًا كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكـرم به مشهداً بانت فصيلته ومـا أضـاع لـه أفعاله خلف

لقد مضى العباس عليه السلام شـهيداً، وهـل هنالك نهاية أخرى كان يفترض أن ينتهي إليها هذا البطل في هذه الحياة؟

لقـد عاش من أجـل الحق، وثار من أجل الحـق، وقتل من أجل الحـق.. فحاز كل الفضيلة من جميع جوانبهـا. ألـم يكن من ألقابه (أبو الفضل)؟

العباس عليه السلام رمزاً

تحـوَّلَ العباس عليه السلام باستشـهاده من مؤمن إلـى رمز للإيمان، ومـن بطل إلى رمـز للبطولات، ومن باسـل إلى رمز للبسـالة، فأصبح المثـال والقـدوة للثائريـن علـى درب الحـق، والرمـز فـي الاسـتقامة والثبات والتضحية، وأصبح الطريق للباحثين عن الفضائل.

وتحـول مرقـده المقـدس إلـى محجـة يطلـب فيهـا المؤمنون حاجاتهـم مـن الله، ويتقربـون إليه فيه..ذلـك أن الله عوض الشـهداء فـي كربلاء الكثيـر من النعم فـي الدنيا و الآخرة، فهم يسـرحون -ولا شـك- في جنة عرضها كعرض السـماوات والأرض أعدت للمتقين، وقد عوضهم الله في الدنيا بأن قضى على عدوهم الذي تكبر، وتجبر، وقرع طبول الفرح لقتلهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فلم تمر إلا سـنوات سـت فقط على حادثـة كربلاء،حتى كانت ثـورة المختـار بن أبي عبيـدة الثقفي رحمه الله في الكوفـة حيث أخذ الذين اشتركوا في قتل الحسين عليه السلام وأصحابه، وقتلهم بكل قتلةٍ قتلة.

وإذا بـرأس (عمـر بـن سـعد) قائـد جيش يزيـد بـن معاوية في كربلاء،يتلاعب به الصبيان في أزقَّة الكوفة، كما أخبره بذلك الحسـين عليه السلام في محاورته الشهيرة معه.

وكذلـك قتـل (حكيم بـن الطفيل) الـذي غـدر بالعباس عليه السلام وقطع يديه من وراء نخلة.

وقتـل (حرملة بـن كاهل) الذي ذبح عبد اللـه الرضيع عليه السلام في حضـن أبيـه، وثأر من كل الذين اشـتركوا فـي قتال الحسـين والعباس عليهما السلام وأصحابهما.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الله عوض الشـهداء بأن جعلهم موئلاً للنـاس، ومصدراً للكرامات، فالعبـاس الذي ضحى لله بيديه، وعينيه، ونفسه الزكية، تحول إلى (باب للحوائج) يقصده الناس من كل حدب وصوب يسلّمون عليه، ويزورونه، ويطلبون من الله استجابة دعواتهم، وإنجاز حوائجهم، ويتبركون بقبره ويحصلون به على ما يريدون.

وقـد ينكر بعض النـاس كرامات الأولياء، ولكـن الذين حصلوا علـى حاجاتهم بعد أن استشـفعوا به-أبو الفضل عليه السلام -عند الله (من أمثال مؤلف هذا الكتاب) يعرفون حقيقة الأمر وهم وليسوا بحاجة إلى من يثبت لهم ذلك...

ومـا قيمة إنـكار مثل تلك الحقائـق؟ إن الإنكار لـو كان يقضي على الحقيقة،ما كان هنالك مؤمن على وجه الأرض، ويقول أحد الشعراء بعد أن استجيبت دعوته وكشف الله ضره بالتجائه إلى قبر أبي الفضل عليه السلام يقول:

فكم لأبي الفضل الأبي كرامات لها تليت عند البرية آيات
وشاراته كالشمس في الأفق شوهدت لها من بنات المجد أومت إشارات
أبو الفضل كم فضل له ومناقب فيا جاحديه مثل برهانه هاتوا
هو الشبل شبل من علي وفي الوغى له أثر من بأسه و علامات

وقد ألَّف البعض كتباً في كرامات أبي الفضل العباس عليه السلام وهكذا فقد تحول العباس عليه السلام إلى رمز البطولات، وموئل للحاجات، وكفى بذلك منقبة من مناقب شبل علي عليه السلام.

رجال من ولد العباس عليه السلام

لقد كان من أهداف بني أمية في قتل الإمام الحسين عليه السلام وبنيه عليهم السلام وأصحابه، أن يقضوا على أهل البيت عليهم السلام وجوداً، ومذهباً، وطريقة حياة،ولذلك فعلوا فيهم ما فعله فرعون في بني إسرائيل، حيث كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم.

كانوا يريدون أن لا يبقى لهذا البيت من باقية، فقتلوا الرجال جميعاً، وذبحوا حتى الطفل الرضيع، وسحقوا تحت حوافر الخيل خمسين طفلاً وطفلة بعد استشهاد الحسين عليه السلام، وأجروا الخيل على جسمه المقدس حتى لا تبقى له حتى شارة قبر.

هكذا كانت تقضي أوامر يزيد، ولذلك فإنه عندما رأى علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام بين الأسرى تعجب من وجود رجل من أهل البيت عليهم السلام حيًّا، فقال له: من أنت؟

قال الإمام عليه السلام: «أنا علي بن الحسين».

قال يزيد: ألم يكن للحسين ولد يقال له علي وقد قتله الله؟

فقال علي بن الحسين عليه السلام : «ذاك أخي علي الأكبر، وقد قتله الناس». فهمَّ يزيد بأن يذبح علي بن الحسين عليه السلام أيضاً، ليس فقط لأنه أفحمه بكلامه، وإنما لكي لا يبقى من نسل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحد من الرجال، ولولا وقفة العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام في ذلك المجلس، وتمسكها بابن أخيها قائلة له: «يا يزيد، إن كنت قاتله فاقتلني معه»..

ولولا خشية يزيد من الفتنة على حكمه حيث كان سيقال أنه قتل شاباً مريضاً أسيرا وقتل معه عمته في موقف جبان...لولا ذلك لقتل علي بن الحسين عليه السلام أيضاً. غير أن إرادة الله كانت خلاف إرادة الطغاة فذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تنقطع، وبارك الله في عددها حتى أن بعض الإحصاءات تقول إن عددهم يربو على ثلاثين مليون، وذلك ليس ببعيد،فمن الذين بقوا بعد واقعة كربلاء أولاد العباس عليه السلام، فقد كان له من الأولاد أربعة وهم (عبيد الله) و(الفضل) و (الحسن) و (القاسم) وإن كان بعض المؤرخين يرى أن القاسم قد استشهد يوم عاشوراء، كما بقي للعباس عليه السلام ابنتان كما يذكر صاحب (مقاتل الطالبيين) و(حديقة النسب) و (معارف) ابن قتيبة وغير ذلك.

وبالرغم من أن أحفاد العباس عليه السلام انحصروا فيما بعد في أولاد عبيد الله،إلا أنهم تكاثروا وأصبح عددهم بمرور الزمن كبيراً،وكان بعضهم من العلماء الأجلاء. فمثلاً (الحسن بن عبيد الله) عاش سبعة وستين عاماً، وقد أولد خمسة وهم (الفضل) و(حمزة) و(إبراهيم) و(العباس) و(عبيد الله) وكلهم من أجلاء الفضلاء في التاريخ.

أما الفضل فكان خطيباً متكلماً فصيحاً، شديد التدين، عظيم الشجاعة، محتشماً عند الجميع وكان يقال له ابن الهاشمية، وقد أعقب ثلاثة من الأولاد هم: (جعفر) و(العباس) الأكبر و(محمد)، وكان لِكَم منهم أولاد فيهم العلماء والأدباء[١].

فمنهم أبو العباس (الفضل) بن محمد بن الفضل بن الحسن ابن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وكان خطيباً شاعراً، وقع عقبه إلى قم وطبرستان، وله أبيات يصف فيها موقف جدِّه العباس عليه السلام يوم عاشوراء.

وأما حمزة فكان يشبه جده أمير المؤمنين عليه السلام إلى درجة كبيرة، حتى أنه خرج من الخليفة المأمون العباسي توقيع بخطه، وفيه يعطي لحمزة بن الحسن ابن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ألف درهم لشبهه بجده علي بن أبي طالب عليه السلام [٢].

وقد تزوج زينب بنت الحسين بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار عليه السلام المعروف بالزينبي -نسبة إلى أمه زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام-، وكان حفيده محمد بن علي بن حمزة شاعراً نزل البصرة وروى الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام وغيره، ومات سنة ٣٨٦هـ[٣].

وأما ابن أخيه (حمزة) صاحب المشهد المعروف في مدينة الحلة في العراق، فكان أيضاً من الأجلاء وقد التجأت أم الإمام

(١) عمدة الطالب، ص٣٥٧.
(٢) العباس، للمرحوم المقرم، ص٣٥٥.
(٣) عمدة الطالب، ص٣٥٨.

المهدي عليه السلام إلى بيته، وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد في المجلد الثاني قائلاً: «كان راوية للأخبار وهو صدوق وله الراوية عن جماعة كثيرة»[١]، وفي تهذيب التهذيب وصفه بـ«العلامة البغدادي»[٢] ونقل عن ابن أبي حاتم أنه صدوق ثقة.

وأما ابراهيم وهو الذي كان يعرف بجردقة، فقد كان من الفقهاء والأدباء، الزهاد، وابنه علي أحد الأجواد، كان له جاه وشرف ومات سنة ٢٦٤هـ. وقد أولد تسعة عشر من الذكور، ومن أحفاده أبوالحسن علي بن يحيى بن علي بن إبراهيم الذي كان خليفة أبي عبد الله بن الداعي على النقابة ببغداد[٣].

وعبد الله بن علي بن إبراهيم جردقة جاء إلى بغداد ثم سكن مصر، وعنده كتب تسمى(الجعفرية) فيها فقه على مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، توفي في مصر في رجب سنة ٣١٢هـ[٤].

ولعّل الجعافرة الذين يربوا عددهم على المليونين في مصر اليوم ينتمون إليه.قال أبو نصر البخاري في سر السلسلة: «العباس بن الحسن ابن عبيد الله بن العباس السقاء، ما شوهد هاشمي أعظم لساناً منه، ولا أجرأ جناناً، قدم بغداد في أيام الرشيد، وأقام هناك،وكان من أفضل رجال بني هاشم فصاحةً وشعراً، ولجلالته وفضله، وبلاغته،

(١) تاريخ بغداد، ج٢، ص٦٣.
(٢) تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٥٢.
(٣) عمدة الطالب، ص٣٥٨.
(٤) تاريخ بغداد، ج١٠، ص٣٤٦.

وفصاحته، كان يكنى عند الخلفاء ولا يذكر اسمه».

وهكـذا فقد تكاثر أحفاد العبـاس عليه السلام، وانتقلوا من مكان إلى مـكان، ونشروا الحق بيـن الناس، ولهم المراقد المقدسـة التي تزار في العراق ومصر وغيرها.

لقـد أراد الأعـداء أن ينتهـي اسـم (العباس) عليه السلام بعـد أن قتلوا شخصه، كما أرادوا أن يسحقوا منهجه بعد أن سحقوا جثته،ولكن الله شـاء غيـر ذلك، وكان مـا أراد الله تعالى، فسـلام عليه يـوم ولد، ويوم استشهد،ويوم يُبعَث حياً.

المحتويات

مقدمة الناشر ٣
مقدمة المؤلف ٧
البدايات ١١
هكذا كان العباس عليه السلام ١٧
شمائل العباس عليه السلام ٢٣
أولاً: البصيرة النافذة ٢٣
ثانياً: الطاعة للّـه و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ٢٥
ثالثاً: التضحية ٢٩
رابعاً: الشجاعة ٣٣
خامساً: الإيثار ٣٧
سادساً: المواساة ٣٩
سابعاً: البحث عن ثواب اللّـه عزّ وجلّ ٤١
ثامناً: الوفاء ٤٤
وتميز بمنظومة البطولات ٤٩

وختم حياته بالشهادة ٥٩
العباس عليه السلام رمزاً ٦٩
رجال من ولد العباس عليه السلام ٧٣
المحتويات ٧٩